الفصل السادس

اليابان والعالم الخارجى
الحرب ضد الصين وروسيا

١ - عالم يحكمه قانون الغاب:

تحدثنا من خلال الفصل الثالث عن أن اليابان من أجل تحقيق النهضة قامت بعدة خطوات داخلية وخارجية، و مايهمنا هنا هو تذكير القارئ الكريم بتلك الخطوات الخارجية التى كان أهمها تنظيم العلاقة بين اليابان وجارتها الكبرى الصين والصغرى كوريا. أما الأولى فقد عقدت معها اليابان عام ١٨٧١م معاهدة سميت «بقواعد الصداقة اليابانية الصينية المتوازنة» ويجب التركيز هنا على كلمة متوازنة. فعلى الرغم من أن اليابان حاولت فى بداية مفاوضاتها مع الصين أن تفرض عليها معاهدة ظالمة كما فُعل بها من قبل الغرب مع نهاية عهد إيدو، فإنها – أى اليابان لم – تفلح فى ذلك. ولكن موقف اليابان سوف يتغير حينما تمتلك القوة فى فرض إرادتها على الغير كما سنرى فيما بعد. وهو منطق لم تتسم به سياسة الدول فى نهاية القرن التاسع عشر فقط بل هو منطق كل العصور والأزمان، ولكن قد تختلف أساليب تطبيق هذا المنطق فقط.

كذلك تطرقنا من خلال الفصل الثالث إلى موضوع آخر وهو المسألة الكورية وكيف تراوحت فيه السياسة اليابانية بين المد والجزر، بين حزب سايجو تاكاموري الذى أيد فكرة غزو كوريا، بل إنه أضاع مستقبله السياسى من أجل هذه الفكرة، والحزب المعارض لهذه الفكرة وكان يتزعمه أوكويو توشيميتشى وكيدو تاكايوشى. ثم مرت العلاقة مع كوريا بين استعراض للقوة من جانب اليابان كما حدث عام ١٨٧٥م من عملية إنزال للقوات اليابانية على أرض جزيرة كانجهوا القريبة من العاصمة الكورية إلى أن تم عقد معاهدة الصداقة اليابانية الكورية. وأدى هذا الاهتمام اليابانى بكوريا إلى اشتداد التنافس بينها وبين الصين، والذى أدى بالتالى إلى تطور التدخل اليابانى فى كوريا إلى شكله العسكرى، فقامت بسبب ذلك ثورة الكوريين احتجاجا على ذلك التدخل عام ١٨٨٢م، واحتجاجا كذلك

على الأسـرة المالكة الكورية. ثم تطورت الثورة لتحتج على الأجانب بمختلف جنسياتهم، وكان للصين اليد العليا فى إخماد الثورة قبل أن تأتى القوة العسكرية التى أرسلتها اليابان للغرض نفسه كما أسلفنا القول فى الفصل الثالث.

وظلـت جهود اليابان فى تدخلاتها فـى كوريا تتطور رويدا رويدا حتى وصلت إلى ضم هذه الدولة المجاورة عام ١٩١٠م بعد صراع شديد مع الجارة الكبرى الصين.

بعد أن توارى دور سايجو تاكاموري بشقه العسكرى، واستبعاد الساسة اليابانيين فكرة اسـتعمال القوة فـى التدخل فى كوريا. جاء دور الفكر اليابانـى متمثلاً فى المفكر اليابانى الكبير فوكوزاوا يوكيتشـى فى الإدلاء بدلوه فى هذا الشـأن المهم الذى سوف يشكل معالم السياسـة اليابانية الاسـتعمارية ومبدأ اتخاذها القوة فى تعاملها مع جيرانها سواء الأقوياء منهم أو الضعفاء. فقد نشـر فوكوزاوا فى مارس ١٨٨٥م فى جريدة (صحيفة الأحداث Jiji Shinpō) – التى كان قد أصدرها بنفسـه عام ١٨٨٢م – بحثا بعنوان «نظرية الهروب من آسـيا (Datsuaron) وكان المغزى الرئيسـى لهذا البحث الذى يحمل عنوانه الهدف منه أنه فى خضم التنافس الرهيب والسـريع للنفوذ الغربى، فى شـرق آسـيا فإنه لابد لليابان من أجل احتفاظها باسـتقلالها أن تتخذ من الحداثة الغربية نبراسـاً لها، وأنها حتى لو تركت الدول المجاورة لها التى لا تستطيع تحقيق التقدم فعليها أن تدخل فى معمعة الدول الغربية المتقدمة، بل عليها أن تطبق الطريقة الغربية الاستعمارية فى كل من كوريا والصين. وكان لهذا البحث الداعى إلى الهروب أو الخروج من آسـيا والتوجه نحو الغرب والارتماء فى أحضان أفكاره الاسـتعمارية أثره الكبير فى تعاظم نغمة المواجهة العسكرية ضد الصين وبالطبع لم تكن الطريقة الغربية تلك سوى تطبيق شريعة الغاب «Jakuniku kyōshoku» فى التعامل مع الدول الأخرى سـواء أكانت دولاً ضعيفة متأخرة أم مع الدول الاسـتعمارية الأخـرى؛ حيث تتصـارع الدول من أجل امتـلاك القوة والثروة. لذلـك رأى فوكوزاوا أن تسـتخدم اليابـان القهر والإرغام لفرض زعامتها على الشـرق. وهو يقـدم مثلاً لذلك بمن يسكن بيتا شيد بالحجارة، وبجانبه جار يسكن بيتا من الخشب فلا يسلم الأول من أخطار الحريق ما بقى بيته ملاصقا للبيت الخشـبى فـإذا لم يقم الجار باتخاذ بيت من الحجر، كان من حق الأول أن يرغمه على ذلك بالقوة. وعلى هذا المنوال فإنه إذا نشبت أزمة بأحد البلاد المجاورة لليابان كان من حقها أن تغزو أراضى تلك الجارة، لا طمعا فيها أو كراهية لأهلها، ولكن اتقاء خطر الحريق الذى قد تتعرض له اليابان إذا امتد لهيب الأزمة لها.

ومما لا شـك فيه أن فوكوزاوا لم يصرح بهذا الكلام إلا إذا كانت أمامه معطيات لذلك. وبكل تأكيد أنه كان على علم بما حدث فى شرق آسيا وعلى الأخص فى الصين ذلك العملاق الذى أصبح وليمة سهلة بالنسبة للدول الغربية. فهاهى ذى حرب الأفيون تظهر مدى ضعف هذا العملاق ومدى التدخل السـافر للدول الغربية فيـه وخاصة إنجلترا. فقد ظهر الغربيون فى الصين على أنهم تجار مخدرات، ولكن الصين سـايرت تجارة الأفيون وانتشـرت فيها أماكن تدخينه، وبرغم أن السلطات منعت استيراد هذه المواد، فإن الإنجليز أخذوا فى تنظيم عمليات تهريبه بالاتفاق مع بعض الموظفين الصينيين وحدث أن ألقت السلطات الصينية فى كانتون بعشـرين ألف صندوق من الأفيون فى البحر سنة ١٨٣٩م. وبالطبع غضب الإنجليز أشـد الغضب لأنهم كانوا يبيعونه بخمسـة أضعاف ثمنه، فطالبوا بتعويض رفضته الصين. وتدخـل الأسـطول البريطانى سـنة ١٨٤٢م واضطرت بكين إلى التراجـع، ووقعت معاهدة نانكين مع إنجلترا فى العام نفسه، وطبقا لهذه المعاهدة فتحت الصين خمسة موانئ للتجارة مع إنجلترا كان من أهمها شنغهاى. وكذلك أعطتها مدخل نهر كانتون وجزيرة هونج كونج ملكا لها. ثم حازت إنجلترا فى العام التالى ١٨٤٣م على حقوق إدارة المحاكم القنصلية. وفى الحقيقة لم تؤثر هذه الحرب فى فوكوزاوا فقط بل أثرت إلى حد بعيد وكانت بمثابة الصدمة بل كانت درسا مهما لطبقة المثقفين فى اليابان فى نهاية عهد إيدو.

وكان الحـدث الـذى أثر فى فوكـوزاو ورفقائه من المثقفين اليابانيـين فى نهاية عصر إيدو هو حرب الأفيون الثانية (١٨٥٦م – ١٨٦٠م) أو ما عرف أيضا بحرب السـهم. وقد نشـبت هذه الحرب بين كل من إنجلترا وفرنسـا ضد الصين. وكانت ذريعة إنجلترا هى إلقاء السـلطات الصينية القبض على بحارة سـفينة ترفع العلم الإنجليزى تدعى «السـهم» وكان هؤلاء البحارة من الصينيين، كذلك احتجزت هذه السلطات السفينة الإنجليزية. أما فرنسا فكانت ذريعتها فى تلك الحرب هو اغتيال المبشرين الفرنسيين فى الصين.ثم قامت الدولتـان باحتلال كانتون. وهنا أكد الأوروبيـون تفوقهم على الصين التى طالما حقرت من قيمة الغرب وقوته واسـتمرت الدول الغربية فى احتلال المدن الصينية الكبرى الواحدة تلو الأخرى، وعلى الرغم من توقيع معاهدة تنشين فى عام ١٨٥٨م فإن الحرب استؤنفت مرة أخرى إلى أن تم احتلال بكين. ولما قامت الصين بقتل بعض الضباط الأسرى فإن الأوروبيين قاموا بإحراق قصر الشـتاء الذى رويت القصص عن عظمته ودقة فنه. فاضطرت الصين إلى

الاستسلام سنة ١٨٦٠م، وقامت بدفع كل التعويضات المطلوبة منها، ووسعت منطقة هونج كونج التى أصبحت ملجأ لرجال العصابات الصينيين ومركزا للتجارة الأوروبية، وفتحت للتجارة عشرة موانئ جديدة وقبلت إعادة تنظيم الجمارك بإشراف خبير إنجليزى. وانتهز الروس فرصة انهيار الصين لكى يحصلوا على الضفة الغربية لنهر آمور والمناطق الواقعة إلى جنوبه على ساحل البحر حتى كوريا، فأصبحت نهاية سيبيريا فى مواجهة اليابان.

كل هذه الأحداث وغيرها كانت بالطبع ماثلة أمام أعين فوكوزاوا وغيره من المثقفين اليابانيين إبان نهاية عصر إيدو وبداية عصر ميجى فرأوا الصين ذلك الأسد المريض وقد تداعت عليه الدول الغربية تنهش كل واحدة منها جزءا منه وهو لا يستطيع حراكا فكان على المفكرين اليابانيين أن يدعوا ساستهم ومواطنيهم إلى أن يعدوا العدة حتى لا تؤكل اليابان كما أكلت الصين وحتى تأخذ نصيبها من الفريسة كما فعل الغربيون.

أما الفكر العسكرى الياباني الحديث الذى يمثله الجنرال والسياسى ياماجاتا أريتومو (١٨٣٨م – ١٩٢٢م) فقد جاء دوره تاليا لدور فوكوزاوا يوكيتشى فى وضع استراتيجية التوسع الإمبريالى اليابانى فى عصر ميجى. هذا على الرغم من أن ياماجاتا نفسه كان فى البداية من أهم المعارضين للأفكار الرامية إلى التوسع الخارجى.

جاء رأى ياماجاتا الداعى للتوسع الخارجى من خلال مذكرتين تقدم بهما إلى مجلس الوزراء الأولى سنة ١٨٨٦م والثانية سنة ١٨٩٠م.

فى الوثيقة الأولى أشار ياماجاتا إلى أن التنافس الروسى – الإنجليزى فى شرق آسيا سوف يؤدى إلى زيادة الاضطرابات فى المنطقة بعد بضع سنوات – وهذا ما حدث بالفعل – وخاصة أن الدولتين طورتا تجارتهما ومراكزهما العسكرية بما يحقق لكل منهما مزايا استراتيجية. فوضعت إنجلترا خطة بناء سكك حديد كندا – المحيط الهادئ، ووضعت روسيا خطة بناء خط حديدى يخترق سيبيريا ويتجه صوب المحيط، ولذلك كان على اليابان – فى رأيه – أن تأخذ الأمر مأخذ الجد، وتتأهب عسكريا لمواجهة وصول السكك الحديدية الروسية إلى المحيط الهادئ والذى كان مقدرا أن يتم عام ١٩١١م.

وفى الوثيقة الثانية (نوفمبر ١٨٩٠م) أكد ياماجاتا أن أمة لا تستطيع الدفاع عن نفسها لا يجدر بها أن تقف فى مصاف الأمم المتقدمة فإذا أرادت اليابان أن تحافظ على استقلالها، فعليها أن تضع خطة للدفاع الوطنى قبل فوات الأوان. وعليها أن تكون على أتم

استعداد للدفاع عن خطين: خط السيادة وخط المصالح، أما الخط الأول فهو حدودها، وأما الآخر فيمر عبر أراضى جيرانها، أو المناطق التى تلامس خط السيادة، فإذا أردنا أن نظل أمة مستقلة، وأن نجد لأنفسنا موضعاً بين الأمم الكبرى، فلابد أن نخطو خطوة واسعة نحو الدفاع عن خط مصالحنا القومية لنكون دائما فى وضع أفضل، ولا نظل قابعين وراء خط السيادة ندافع عنه – وخط مصالحنا الحقيقى هو كوريا».

وهكذا عبر ياماجاتا بوضوح عن السياسة التى سوف تتخذها اليابان نحو جاراتها وهى أن خير وسيلة للدفاع الهجوم أى أنه ركز على الأهمية الاستراتيجية للتوسع فى القارة الآسيوية على حساب جاراتها باعتباره «ضرورة أمنية» يستلزمها استقلال اليابان، وفى الحقيقة فإن واضعى الاستراتيجية الحربية اليابانية أواخر القرن التاسع عشر و حتى نهاية الحرب العالمية الثانية لم يخيبوا آمال كل من فوكوزاوا وياماجاتا. وكانت أحداث الحروب التى عاشتها اليابان وخاضتها هى التطبيق الفعلى للأفكار والسياسات السالف ذكرها. وهذا بالأحرى ما يمكن أن يطلق عليه قانون الغاب وهو ما نادى بتطبيقه بالفعل فوكوزاوا يوكيتشى، حيث يفتك القوى بالضعيف. وهذا القانون هو ما ساد العلاقات الدولية آنذاك، وللأسف حتى الآن مازال ساريا وإن اختلفت الطرق والوسائل.

ولم تألُ اليابان جهدا من أجل الولوج إلى المعسكر القوى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وذلك على كل الأصعدة، وكما ذكرنا آنفا حاول الساسة اليابانيون بكل استطاعتهم إلغاء المعاهدات الظالمة والمجحفة التى عقدتها اليابان مع الدول الغربية فى نهاية عصر إيدو حتى تستطيع أن تقف كتفًا بكتف مع الدول القوية. فكانت بعثة إيوا كورا طومومى إلى أوربا وأمريكا التى حاولت تعديل هذه المعاهدات ولكنها فشلت، وكان ذلك فى الفترة ما بين عامى ١٨٧١م و١٨٧٢م.

ثم كانت محاولة ناظر الخارجية تراجيما مونى نورى من أجل إقرار حق اليابان فى تحديد الضرائب والجمارك، والذى وصل بالفعل إلى حل لهذه المشكلة مع أمريكا فى عام ١٨٧٨م ولكن فى النهاية وصلت هذه الجهود إلى طريق مسدود بسبب معارضة إنجلترا. ثم بعد ذلك كانت مفاوضات ناظر الخارجية التالى إينو أوى كائورو مع الدول المتعاقدة مع اليابان من أجل إقرار حق اليابان فى تحديد الجمارك وإلى جانب ذلك إلغاء ما يمكن تسميته بالمحاكم القنصلية.

وحتى يستطيع اليابانيون إقناع الغرب بإلغاء المعاهدات والامتيازات المجحفة باليابان، قاموا بإنشـاء قصر الروكميكان Rokumeikan الذى كانت تقام به الحفلات الراقصة كل ليلة على النسـق الأوروبى وذلك تشـبهاً بالغرب وتقرباً منه. هذا بالطبع إلى جانب الأخذ بالنسـق الغربى فى مختلـف نواحى الحيـاة الثقافية وتعديل القوانين والنظم بما يتسـق والقوانـين والأعراف الغربية. وبرغم هذه الجهود الحثيثة مـن أجل تعديل المعاهدات مع الغـرب ظهرت أصوات داخل الحكومة تعارض هـذه المطالبات، وكان من أبرز المعارضين القانونى الفرنسى بواسدون الذى كان يشغل وظيفة مستشار فى مجلس الوزراء اليابانى.

ومع ذلك فقد كانت لحادثة سفينة الشحن الإنجليزية نورماتون الأثر الكبير فى إيقاف محادثات تعديل المعاهدات؛ ففى أكتوبر من عام ١٨٨٦م غرقت سـفينة الشـحن هذه فى خليج كيشو اليابانى، ولكن تم إنقاذ جميع البحارة الإنجليز الذين كانوا على متن السفينة، فى حين لقى ثلاثة وعشـرون بحارا يابانيا حتفهم غرقا، وبرغم خطأ قبطان السفينة الذى أدى إلى هذه النتيجة المؤسـفة فقد حكم عليه بالبراءة عن طريق المحكمة القنصلية مما أثار غضب المواطنين اليابانيين أشـد الغضب، وقامت الحكومة اليابانية أيضاً باستئناف الحكم فصدر الحكم فى ديسـمبر من العام نفسـه بالسـجن لمدة ٣ أشهر فقط. وفى الحقيقة كانت هذه الحادثة السـبب الرئيسـى الذى أشعر عامة اليابانيين بضرورة إلغاء المحاكم القنصلية إلا إنها كانت السبب أيضا فى توقف المحادثات من أجل إلغاء هذه المحاكم إلى أجل غير مسمى وأدت أيضا إلى استقالة وزير الخارجية إينوأوى كائورو.

٢ - مقدمات الحرب ضد الصين:

فى هذه الأثناء وضح للمسـئولين اليابانيين مدى ضراوة الصراع الروسـى – الإنجليزى فى الصين وكوريا وما يمكن أن يؤدى إليه من آثار سـيئة لليابان فى المستقبل القريب. فما إن وصل القنصل الروسـى إلى العاصمة الكورية بيونج يانج حتى حاول عقد معاهدة سـرية معهـا من أجل الحصول على ميناء غير متجمد، ومـا إن علمت إنجلترا بهذه المحادثات حتى أقدمت على احتلال جزيرة كيوبون فى عام ١٨٨٥م وبعد احتلال دام ثلاث سـنوات انسـحبت إنجلترا من هذه الجزيرة ولكنها كانت قد حصلت من الصين صاحبة السـيادة على كوريا بتعهد مفاده عدم التخلى عن هذه الجزيرة لأية دولة أخرى، وكان المقصود بذلك روسيا على وجه الخصوص.

هذه الأحداث المضطربة كانت بمثابة ضغوط على اليابان وساستها وبذلك زاد الإحساس بأن روسيا هى العدو الأكبر الذى يشكل التهديد الخطير لليابان، وهذا ما جعل الجنرال اليابانى ياماجاتا أريتومو يطالب بضرورة تجهيز بلاده عسكريا كما سبق وذكرنا آنفا وذلك حتى تستطيع مواجهة تلك التحديات.

ومما زاد من شعور اليابانيين بضرورة اتخاذ كل الاحتياطات العسكرية هو الخوف حتى من رجل آسيا المريض الصين. وكان لما حدث فى عام ١٨٩١م الباعث على إنقاذ هذا الشعور، فقد حضر إلى سواحل اليابان أسطول المحيط الشمالى مكونا من سبع بوارج حربية. وفى هذه الأثناء أيضا شاعت فى اليابان لأول مرة الأغانى الحربية، واستطاع كذلك ضابط صغير برتبة ملازم فى عبور سيبيريا مما جعل شعور اليابانيين ينطلق متأهبا نحو القارة الآسيوية.

وفى السياق نفسه نستطيع أن نستدل عن مدى اهتمام الساسة والقوميين اليابانيين بما يحدث فى آسيا وضرورة حصول اليابان على جزء من الكعكة الآسيوية وذلك من خلال تصريح أدلى به أووى كنتارو فى أكتوبر ١٨٩٢م وهو أحد الزعماء الذين اشتركوا فى حادثة أوساكا(١) حيث يقول: «إن الحزب الوطنى الحالى لا يفكر إلا فى إراحة المواطنين عن طريق خفض الضرائب على الأراضى. ولكن ما يجب عمله بالفعل هو التأكيد على تشديد سياسة البلاد نحو الخارج وتأكيد استقلالها وكذلك تطوير الاقتصاد وجعل اليابان دولة غنية»، وإلى جانب ذلك فإن كنتارو يرى أنه على اليابان أن تأخذ دور الريادة من أجل تحديث وتطوير آسيا. ونستطيع أن ندلل على مدى اشتداد الشعور القومى بضرورة أخذ اليابان موقفا قويا من الغرب، وذلك عندما هاجم القوميون موقف الحكومة الضعيف من تعديل المعاهدات.

وفى الحقيقة لم يكن موضوع تشديد الموقف اليابانى نحو البلاد الأجنبية مشتعلاً فقط على المستوى العام بل كان ملتهبا أيضا فى البرلمان اليابانى. فقد استطاع الحزب الوطنى فى بدايات البرلمان أن يلغى النفقات العسكرية ولكن تم إقصاء هذا الإلغاء وإحياء هذه النفقات فى الاجتماع الرابع للبرلمان (١٨٩٣م – ١٨٩٢م) عن طريق فرمان إمبراطورى، وأصبح جليا أن إعلاء كلمة اليابان أمام الدول الأجنبية وتقويتها عسكريا أهم بكثير من إسعاد المواطنين وإراحتهم عن طريق تخفيض الضرائب، وعليه أذعن الحزب الوطنى للفرمان الإمبراطورى بل إنه أظهر حماسة لتطبيق هذا الفرمان متنافسا مع الحكومة فى إظهار ولائه لفكرة التوسع فى التجهيزات العسكرية، وألقى جانبا فكرة إراحة المواطن العادى. وبذلك تعضدت نظرية التشدد نحو البلاد الأجنبية. ومن الجدير بالذكر هنا أن

الحـــزب الذى كان يقود فكرة التشـــدد نحو الخـــارج (Taigaikō) كان هو حزب الإصلاح (Kaishintō) بل أن الحزب الوطنى أيضا دخل فى معمعة نظرية التشدد بعد أن وجد أنه ليســت هناك فائدة من معارضة الحكومة عندما أيقن أن نظرية إراحة المواطنين وإســعادهم (Minryokukyōyō) لم تؤتِ ثمارها وسط هذا الطوفان الذى يدعو لتقوية اليابان عسكريا.

وسط هذا الجو المشحون بمشاعر التشدد نحو البلاد الأجنبية، حدث ما جعل هذا التوتر يزداد عنفا وشـــدة، وتمثل ذلك فى حادثة تشيشـــيما جيكن (Chishimakan jiken) ففى نوفمبر ١٨٩٢م حدث تصادم بين البارجة اليابانية تشيشـــيما وسفينة شحن بريطانية، وقد نتج عن هذا التصادم غرق البارجة اليابانية فى بحر ستو الداخلى. وعليه طالبت الحكومة اليابانية الشـــركة المالكة للســـفينة بدفع تعويض قيمته ٨٥٠ ألف ين، ثم رفعت دعوى ضد هذه الشركة أمام المحكمة القنصلية الإنجليزية الكائنة بمدينة يوكوهاما. ولكن على العكس طالبت الشـــركة البريطانية الحكومة اليابانية بدفع تعويـــض قدره ١٠٠ ألف ين، ورفعت دعوى بذلك ضد الحكومة اليابانية. ولما رُفضت هذه الدعوى اســـتأنفت الشركة الإنجليزية أمام المحكمة القنصلية البريطانية الموجودة فى شنغهاى وكسبت القضية هذه المرة. وما إن علـــم اليابانيون بهذا الحكم حتى ثارت ثائرتهم واشـــتد حنقهم نحو الدول الأجنبية وكان أكثر ما أغضبهم أن المحكمة القنصلية الإنجليزية ساوت بين قدر وقيمة الشركات الأجنبية وقـــدر وقيمـــة الإمبراطورية اليابانية. وســـرعان ما تقدمت الحكومـــة اليابانية بدعوى لدى مجلس النبلاء الإنجليزى رافضة هذا الحكم، وكذلك تناولت الصحف الخاصة بتوسع هذه المشـــكلة وكذلك تم عقد الكثير من اللقاءات الخطابية والبحثية لمناهضة الأجانب ومناقشـــة هذه القضية. ولم تهدأ ثائرة اليابانيين إلا بعد أن اعترف مجلس النبلاء الإنجليزى فى مايو ١٨٩٥م بوجهـــة نظر اليابان فى هذا الشـــأن، وتم الحكم لصـــالح اليابان بالتعويض. ولكن الطريـــف هنا أنه بعد مرور ثلاث ســـنوات على وقوع هـــذه الحادثة وبعد أن أنفقت اليابان أكثـــر مـــن ١٢٠ ألف ين على هذه القضية صدر الحكم بالتعويض بما قيمته ١٠ آلاف جنيه إنجليـــزى فقـــط أى ما يوازى نحو ٩٠ ألف ين فقـــط؛ أى إن ما تم صرفه على القضية فاق قيمة التعويض التى حصلت عليه اليابان.

وقبـــل هذا الحكـــم الذى يعتبر إيجابيا إلى حد ما من جانب إنجلترا نحو اليابان كانت هناك خطوة إيجابية أخرى من جانب إنجلترا وهى توقيع البلدين معاهدة التبادل التجارى

والبحرى اليابانى – الإنجليزى فى يوليو ١٨٩٤م. وكان اقتناع إنجلترا بالمركز القوى الذى حققتــه اليابان بين الدول المتقدمة وذلك بعد إقرارها الدســتور وافتتاحها البرلمان، وأخذها النظم الحديثة، وإلى جانب ذلك استشــعار إنجلترا الخطر الروسى وتوسعها فى شرق آسيا بعد أن أنشأت خطوط حديد سيبريا. وكانت فرنسا وروسيا قد أبرمتا وفاقا وديا بينهما فى أغسطس من عام ١٨٩١م، كل هذه الظروف جعلت إنجلترا تقترب من اليابان أكثر وأكثر.

أما المحتوى الرئيسى للمعاهدة السالف ذكرها فكان كالتالى:

١ – إلغاء نظام المحاكم القنصلية الإنجليزية فى اليابان.

٢ – اعتبار البلدين كلا للآخر الدولة الأولى بالرعاية.

٣ – الاعــتراف بالضرائب التى تقررها دولة اليابان، ولكن مع وضع بعض القيود التى أضعفت من قيمة المعاهدة نحو اليابان، إلا أن توقيع اليابان لهذه المعاهدة جعل العديد من دول الغرب تأخذ الخطوة نفسها وتوقع معاهدات مماثلة مع اليابان.

٣ - اندلاع الحرب اليابانية - الصينية:

تصاعــدت حدة الصراع اليابانى – الصينى فــى كوريا فى أواخر الثمانينيات من القرن ١٩ وفى الحقيقة فإن أسباب تصاعد هذا الصراع تعلقت بالطرف اليابانى والطرف الصينى على السواء، أما من ناحية اليابان فقد مثلت كوريا بالنسبة لها خط الدفاع وحصنها الأول. وعبر عن ذلك بصدق السياســى أوى كينتارو عند تأسيســه حزب الشــرق الحر قائلا: «إن كوريا تعد كالحصن بالنسبة لليابان، وإذا ما انهار هذا الحصن فإن اليابان يمكن أن ينالها أنواع كثيرة من المصائب» ولم تكن هذه هى وجهة نظر أوى كيشارو فقط بل كانت هى نفس وجهة نظر الكثير من السياسيين ومن هم لهم اهتمامات سياسية بوجه عام.

وقــد رأينا فيما ســبق مدى ضــراوة الصراع بين الدول الغربية من أجل افتراس الأســد المريض ونعنى به الصين، والحمل الضعيف ونعنى به كوريا. كل هذا جعل اليابان ترغب فــى التقدم نحو الصين وكوريا معاً، وذلك من أجل تأكيد وحفظ أمن اليابان واســتقلالها. ولأن كوريــا تعتــبر الجارة الأقرب جغرافياً لليابان، فهى لذلك لها أهمية خاصة. ذلك لأن كوريا لو وقعت تحت اســتعمار دولة أخرى من الدول الاستعمارية القوية فإن اليابان حتما ســوف تكون الفريســة التالية لها، وإن كانت هناك دولة قوية قريبة من اليابان فلن نجد أمامنا فى ذلك الوقت سوى روسيا، خاصة إذا ما أكملت مشروع خط حديد سيبريا، ولكنه

كان آنذاك فى مرحلة التخطيط. وتم البدء فى إنشائه بالفعل فى عام١٨٩١م، وتم الانتهاء منه فى عام ١٩٠٥م، وليس كما كان مخططاً له فى عام ١٩١١م كما ذكرنا آنفا. أى قبل ميعاده بست سنوات، وهذا ما ضاعف من شكوك اليابان نحو روسيا.

على أية حال، كان العدو المباشر لليابان فى كوريا فى تلك الفترة هو الصين وذلك على الرغم من ضعفها.بل إنه كان للصين بالفعل الموقف المتفوق على اليابان وخاصة بعد ثورتى جينجو Jingo وكوشين Kōshin اللتين حدثتا فى عام ١٨٨٢م و١٨٨٤م على التوالى. وكانت الأولى ضد اليابان والجناح التقدمى فى كوريا. أما الثانية فقد قام بها الجناح التقدمى الموالى لليابان. إلا إنه وبسبب التدخل الصينى لقمع هذه الثورة فقد أدى هذا إلى فشلها. ولم تألُ الصين جهدا فى توسيع امتيازاتها ومناطق نفوذها فى كوريا، فقامت بإرسال السياسى والدبلوماسى الطموح يوان شيكاى (إنسى جاى فى المصادر اليابانية) إلى الصين. وقد قام الرجل بالفعل بنشر النفوذ الصينى فى كل أنحاء كوريا بعد وصوله إليها فى عام ١٨٨٥م ومن بين المشاكل التى واجهت اليابان فى كوريا إصدار الأخيرة قانون حماية الحبوب (Bōkokurei) فى عام ١٨٨٩م. وهذا القانون كان ينص على عدم تصدير الحبوب الكورية للخارج وذلك بسبب الكساد الرهيب الذى أصاب إنتاج الحبوب والذى أدى بالتالى إلى حدوث مجاعات فى كوريا. ولكن هذا أدى بالتالى أيضا إلى خسائر ضخمة لتجار الحبوب اليابانيين مما جعل اليابان تطالب بتعويضات لهم رفضت كوريا دفعها فى البداية ولكن بعد مفاوضات طويلة وتدخل الحكومة الصينية قامت كوريا بدفع تعويضات قيمتها ١١٠٠٠٠ ين وذلك فى عام ١٨٩٣م.. وفى العام التالى ١٨٩٤م حدث ما عكر العلاقة بين اليابان من طرف وكل من الصين وكوريا من طرف آخر. حيث اغتالت الحكومة الكورية المعارض الكورى كيم أكوكيون (١٨٥١م – ١٨٩٤م) الذى اشتهر بأنه أحد قواد الجناح الإصلاحى فى كوريا. وكذلك كان يتلقى العون من اليابان من أجل الثورة على الحكومة الكورية والاستقلال عن الصين. وكان أن تم اغتياله فى شنغهاى، ثم حملت جثته سفينة صينية إلى كوريا وقامت الحكومة الكورية بعد ذلك بتقطيع جثته إربا إربا وهذا ما أثار الحنق والغضب على كوريا والصين فى الأوساط اليابانية.

وفى بداية يونيو ١٨٩٤م، اندلعت ثورة عارمة للفلاحين الكوريين وذلك بسبب الحكومة الفاسدة وكذلك اعتراضا على امتلاك الأجانب زمام الأمور الاقتصادية فى البلاد، بل

اعتراضـا علـى كل ما هو أجنبى وخاصة الغربى منه وعلى اليابانيين الذين يسـيرون على منوالهم ولذلك فهم فاسـدون ومتمردون على شـرقيتهم. وقد بدأت هذه الثورة فى الجنوب الكورى ثم انتشـرت نيرانها إلى كل أنحاء اليابـان. ومن منطلق أنها كانت معادية للغرب فقـد أطلـق عليها ثورة التعاليم الشـرقية (Tōgaku) وإذا كانت دعائـم الغرب تقوم على التعاليم المسـيحية فإن حزب التعاليم الشرقية قام على خليط من الديانات الشرقية الأشهر وهى الكنفوشـية والبوذية والطاوية. وقد ظهرت هذه الديانة فى بداية القرن التاسـع عشر فـى كوريـا. ولأن أتباع هذه الديانة امتزجـوا مع الفلاحين فى ثورتهم فقد تمت تسـمية ثورة الفلاحين هذه باسـم ثورة أتباع التعاليم الشـرقية.وكان شعار الثورة هو طرد الغربيين واليابانيين من كوريا (Sekiwasekiyō).

وفى كل هذه الأوضاع المضطربة حاول الداهية الصينى يوان شـيه كاى (إسى جاى فى المصـادر اليابانية) أن يمد النفوذ الصينى فى كوريا عـن طريق قمع ثورة الفلاحين، وذلك بناء على طلب الحكومة الكورية بإرسال قوات صينية إليها وبالفعل أرسلت الصين قواتها لمساعدة الحكومة الكورية التى كانت قد تلقت هزائم على يد الثوار فى البداية، وقد قامت الصين بإبلاغ اليابان بأمر إرسالها القوات وذلك طبقا لمعاهدة تنشين الموقعة بين البلدين فى عام ١٨٨٤م ولم يقتصر الأمر على الصين فقط. فقد نشط أيضا فى إبلاغ اليابان بأمر القوات الصينية ممثل الحكومة اليابانية بكوريا وكان يدعى سوجيمورا، فأرسل إليها برقية مفادها أن الحكومـة الكورية طلبت من الصين التدخل لقمع الثوار الكوريين، وعليه فقد اجتمعت على الفور الحكومة اليابانية لبحث هذا الأمر الخطير.

ومن أجل عدم فقدان توازن القوى مع الصين فى كوريا تم على وجه السرعة إقرار إرسال قـوات يابانيـة إلى كوريا. ولم تكن مهمة هذه القوات سـوى تحطيم الجيش الصينى وطرد نفوذهـا من كوريـا تماما، وذلك لأن مهمة إخماد الثورة فـى كوريا كانت قد تمت بالفعل علـى يد الجيـش الصينى، وإلى جانب ذلك حماية اليابانيـين الموجودين بكوريا والحفاظ على ممتلكاتهم.

كان إيتوهيربومـى يقـود وزارته الثانية آنـذاك (١٨٩٢م – ١٨٩٦م) وبـدا إيتو وكأنه يتخوف من إرسـال قوات كبـيرة إلى كوريا حيث ألمح بذلك لوزير خارجيته موتسـومونى ميتسو Mutsumue Mitsu (١٨٩٧م – ١٨٩٢م) حينها اقترح نائب مدير غرفة العمليات

الحربيـــة كاواكامـــى صوركـــو Kawakami Sōrōku (١٨٤٨م – ١٨٩٩م) الـــذى كان من الصقور المؤيدة للحرب ضد الصين، اقترح على ميتســـو إبلاغ إيتو بأن اليابان ســـوف ترسل كتيبة مختلطة أو مركبة وليســـت كتيبة عادية، وبذلك ســـيكون عـــدد الجنود بها يتجاوز ثمانية آلاف وليس كعدد الكتيبة العادية التى لا يتجاوز عدد جنودها ألفى جندى فقط وبعد ذلـــك تم عقد غرفة العمليات الحربية فى الخامس مـــن يونيو وعلى الفور تم إصدار الأوامر لتحرك القوات نحو كوريا.

ومن ناحية أخرى تكونت جماعة أطلقت على نفســـها اســـم جماعة جند الســـماء وهى جماعـــة يمينية متطرفة فى اليابان ونادت هـــذه الجماعة بمعاونة ثورة الفلاحين فى كوريا واتصلت هذه الجماعة بالقائد العســـكرى كاواكامى لتتخذ من مســـاعدة الثوار ذريعة لمقاومة القوات الصينية فى كوريا وإعلان الحرب عليها.

وعلـــى الرغـــم من أن الوزير المفـــوض لليابان فى كوريا اوطورى أبـــرق فى ١١ يونيو إلى رؤســـائه فى اليابان بعدم ضرورة إرســـال قوات إضافيه فإنه تم إرسال قوة كبيرة مكونة من ٦ آلاف جنـــدى إلى ميناء أينتشـــون (Inchon) الكورى الذى يبعـــد ثلاثين كيلو مترا عن المدينة الهادئة بيونج يانج.

بســـبب هذه القوات اليابانيـــة الضخمة التى وصلت إلى كوريـــا انزعجت الصين كثيرا وحاولت تدارك الأمر فأمرت على الفور ممثلها فى كوريا يوان شـــيه كاى (أنســـى جاى) بإجـــراء محادثـــات مع ممثل اليابـــان فى كوريا الوزيـــر المفوض اوطـــورى وذلك من أجل انسحاب متبادل من كلتا القوتين اليابانية والصينية من كوريا فى أسرع وقت ممكن.

وفى الحقيقة إن ضخامة القوات اليابانية فى كوريا لم تزعج الصين فقط ولكنها أزعجت ســـفراء الدول الأجنبيـــة والغربية على الأخص عندما شـــاهدوها تدخـــل العاصمة الكورية الهادئـــة وقـــد تلقوا طلبا من الحكومة الكورية لكى يتدخلـــوا لدى الصين واليابان من أجل إجراء الانسحاب المتبادل بين القوتين ثم كانت محاولة روسيا وفرنسا وألمانيا التدخل لمنع الحرب عندما رأوا إصرار اليابان على إشـــعال نار الحرب، ولا شـــك أن هذه الدول كانت تـــدرك تماما ما مـــدى الفارق بين القوتين المتصارعتين فى كوريا، فعلى الرغم من أنه عرف عن الصين أنها (الأســـد النائم) وأنها تمتلك أراضى شاســـعة فإنها تأخرت كثيرا عن ركب الدول المتقدمة وأن الصين مقارنة باليابان بعيدة كل البعد فيما يتعلق بروح الجنود القتالية

وكذلك فى مجال تسليح الجيش ولذلك كانت نتيجة الحرب واضحة تمام الوضوح من بداية الأمر وأنها محسومة لصالح اليابان.

ولاطمئنـــان زعماء اليابان إلى هذه النتيجة التى عملوا من أجلها منذ بداية عصر ميجـى واتجهوا نحو التحديث بكل جهدهم من أجل استبعاد التدخل الأجنبى وذلك لكى يكملوا خطتهم الطموح فى الإجهاز على كوريا والانتصار على الصين إلا أن روســيا التى كان لها اهتمـــام خاص بكوريا مقارنة بباقى الدول الغربية توجهت بتحذير لليابان أنه إذا فشـلت عملية الانسحاب من كوريا فإن اليابان سوف تتحمل المسئولية الكاملة عن هذا الفشل ولكن اليابان كانت قد تقدمت مسـبقا بحجة أخرى من أجل إفشـال أية محاولات للانسحاب من كوريا أو وقف الحرب ضد الصين وهذه الحجة هى فشـل مشـروعها من أجل إصلاح الأحوال الداخلية فى كوريا.

ففى السادس من يونيو ١٨٩٤م طالبت اليابان غريمتها الصين بعمل إصلاحات داخلية فى كوريا وتقدمت بخطة من أجل ذلك وهذه الخطة التى قررها مجلس وزراء ايتو تحتوى على النقاط الآتية:

١ – تتصدى كل من اليابان والصين لإخماد الانتفاضات الشعبية.

٢ – تتولى لجنة دائمة مكونة من أعضاء من البلدين من أجل إجراء إصلاحات داخلية بكوريا وذلك بعد إخماد الانتفاضات الشعبية.

٣ – من خلال هذه الخطة سيتم التفاوض مع الصين ولكن إلى أن يصل البلدان إلى حل نهائى لن يكون هناك انسحاب للقوات.

وكان رد الصـين على هذه الخطة هو الرفض التام منتقدة إياها بأن ذلك يعد تدخلا من اليابـان فى الشـئون الداخلية لكوريا مع التذكير بأن الصـين كانت تعتبر كوريا تابعة لها ولذلك لا يحق لليابان أن تتدخل فى الشئون الكورية.

وفـى مواجهة هذا الرفض الصينى فإن اليابـان تقدمت منفردة بخطة الإصلاحات هذه للحكومة الكورية مباشرةً. ولكن الأهم أنها اعتبرت هذا الرفض فى الوقت ذاته رفضا صينيا لحل المشكلة فى كوريا، وأن اليابان لن ترضى بسلام مؤقت وعليه فإن الجيش اليابانى لن ينسـحب من كوريا حتى تتم الإصلاحات فى كوريا. وعليه دخلت اليابان فى حالة نزاع وعـدم تفاوض مـع الصين مما أدى إلى اندلاع الحرب معها وهذا مـا كانت تريده اليابان.

ومما يدل على أن اليابان اتخذت موضوع فشل خطتها للإصلاح فى كوريا مجرد ذريعة تتذرع بها من أجل أن ينشب القتال بينها وبين الصين ومن أجل عدم سحب جيشها من كوريا، ذلك أن وزير خارجيتها آنذاك موتسومونى ميتسو ذكر فى مذكراته ما يلى: «إن خطة الإصلاح فى كوريا ما هى إلا واحدة من سياسات تدخل الحكومة اليابانية وكان معروفاً أن هذه الخطة لن يكتب لها النجاح بين اليابان والصين. وعملية الإصلاح لا تعنى شيئاً لليابان ولم تكن تتوقع نجاحها» أى أن خطة الإصلاح لم تكن سوى حجة يابانية من أجل أن تندلع الحرب ضد الصين، ومن هذا المنطلق نجد أن اليابان منذ بداية عصر الميجى كانت تطبق المبدأ الميكافيلى فى تعاملاتها مع الدول المجاورة. أى إنها لم يكن يهمها شكل الوسائل التى تستخدمها وذلك من أجل الوصول إلى أهدافها ثم كانت الخطوة التالية لكى تعضد من موقفها إذا ما اندلعت الحرب ألا وهى إجراء تعديلات فى معاهدتها مع إنجلترا. ففى ١٦ يوليو تم إبرام معاهدة جديدة معدلة بين اليابان وإنجلترا أطلق عليها «المعاهدة اليابانية الإنجليزية التجارية الجديدة» وطبقا لهذه المعاهدة الجديدة تم إلغاء المحاكم القنصلية وإلغاء المناطق الخاصة لسكن الأجانب، واستعادت اليابان حقها فى فرض الضرائب. وعندما أيقنت اليابان أن إنجلترا أصبحت حليفتها تقدمت فى جرأة فى ٢٠ يوليو إلى الحكومة الكورية مطالبة إياها بإلغاء المعاهدة الكورية – الصينية وطرد الجيش الصينى وإنشاء قواعد عسكرية فى كوريا. وبعد ذلك بثلاثة أيام فقط قام الجيش اليابانى باحتلال القصر الإمبراطورى عندما لم تتلق ردا مرضيا لها على المطالب السابقة. ثم قامت اليابان بوضع أمور الدولة الكورية فى يد المعارض تايئن كون Taiinkun (١٨٢٠م – ١٨٩٨م) ولم يخيب تايئن كون ظن اليابانيين ولم يخرج عن السيناريو الذى كتبه اليابانيون وقام بالفعل بإصدار الإعلان الذى يؤيد أن كوريا ليست دولة تابعة للصين، وإلى جانب ذلك قام بدعوة ممثل اليابان وطلب منه بأن تقوم اليابان بطرد الجيش الصينى من كوريا.

وفى اليوم نفسه الذى قام فيه تايئن كون بإعلانه هذا أى فى ٢٥ يوليو قامت البحرية اليابانية بالهجوم على الأسطول الصينى الرأسى فى خليج هوجو (هوطو فى المصادر اليابانية) الواقع غرب شبه الجزيرة الكورية؛ حيث قام الأسطول اليابانى بتدمير سفينة حربية كبيرة وكذلك إغراق سفينة شحن أخرى تنقل أكثر من ألف جندى صينى وأسر سفينة أخرى. ولم يلبث الجيش البرى أيضاً أن بدأ هجومه فقام باحتلال مدينتين كبيرتين

جنوب العاصمة صول. وبعد هذين الهجومين الكاسحين سواء من الجيش البحرى أم البرى قامت اليابان أخيراً بإعلان الحرب فى الأول من أغسطس ١٨٩٤م. وهذا بالطبع عكس المتعارف عليه دولياً بأن تبدأ المعارك بعد إعلان الحرب رسميا وليس العكس. وهذا سلوك يابانى سوف يتكرر أكثر من مرة بعد ذلك فى التاريخ اليابانى الحديث.

مما سبق ذكره نجد أن الهجومين البحرى والبرى اليابانيين كانا متتابعين ومتلاحقين مما يعنى أنه كان هناك تنسيق تام بينهما. وهذا لم يحدث بالصدفة ولكن كان مخططا له منذ أكثر من عام (مايو ١٨٩٣م) عندما تم وضع القيادتين العسكريتين للسلاحين تحت إمرة الإمبراطور اليابانى مباشرةً. وهكذا تم إعداد المطبخ العسكرى اليابانى ليكون مستعدا للحرب فى أى وقت. ولكن نظرا لأهمية الجيش البرى بالنسبة للحرب ضد الصين فى كوريا فقد تم وضع قيادة الجيش البحرى تحت إشراف قيادة الجيش البرى. وعلى الرغم من أن التقاليد العسكرية آنذاك كانت تضع قيادة الجيش بشكل عام تحت قيادة أمير من البلاط الإمبراطورى، وكان هذا الأمير آنذاك هو تاروبيتو Tarubito (١٨٣٥م – ١٨٩٥م) فإن القيادة الفعلية للجيش كانت تحت إمرة الجنرال كاواكامى صوروكو الذى كان من صقور العسكريين كما أسلفنا القول. وفى سبتمبر ١٨٩٤م انتقلت غرفة العمليات الحربية إلى مدينة هيروشيما، وانتقل إليها الإمبراطور اليابانى ميجى نفسه لقيادة العمليات وتذكر المراجع اليابانية التى تصف وتقص حياة الإمبراطور مدى المعاناة التى عاناها وشظف العيش الذى لاقاه الإمبراطور فى هذه الغرفة التى لم تكن مهيئة على الإطلاق لاستقبال حتى ضابط برتبة وسطى مما يجعلنا ندرك مدى إصرار كل اليابانيين على النصر على الصين فى هذه الحرب ثم على روسيا فى حربها ضدها عام ١٨٠٤م – ١٩٠٥م التى سوف يستعد لها اليابانيون بكل قوتهم كما سوف يأتى الحديث فيما بعد.

ولما رأت الصين مدى ضخامة الحشود اليابانية التى وصلت إلى كوريا، انزعجت بشدة وأمرت على الفور ممثلها فى كوريا يوان شيه كاى (أنسى جاى) بإجراء مباحثات مع سفير اليابان فى كوريا أوطورى كيسوكى Otori Keisuke (١٨٣٢م – ١٩١١م) – وهو سياسى مخضرم وخبير عسكرى فى الوقت نفسه – وذلك من أجل إجراء انسحاب متبادل من كلتا القوتين اليابانية والصينية من كوريا. ولكن كل تلك المحاولات انتهت إلى الفشل كما ذكرنا من قبل.

ومنـذ بدء الحرب لم تكن الاسـتراتيجية العسـكرية اليابانية تهـدف إلى طرد الجيش الصينـى من كوريا فقط، بل إلى التحكم فى البحـار المحيطة بكوريا والصين. وفى المقابل كان الجنرال الصينى تيجو شـوا – تم أسره بعد هزيمة الصين ولكنه انتحر بتناول السم – ويريد أن يحطم الأسطول اليابانى ولكن لعدم وجود إشارات لاسلكية ولضعف طرق البحث والتقصى فلم يتقابل الأسطولان. ولكن فى نهاية شهر يوليو استطاع الجيش البرى اليابانى أن يحتل مدينتى آسان وسيكان الواقعتين جنوب العاصمة الكورية، وذلك بعد أن حشدت اليابان قوتها فى العاصمة الكورية وقام الأسطول اليابانى الموحد بحراسة هذه القوات. وبعد كل هذه المعارك أعلنت اليابان الحرب رسميا فى الأول من أغسطس كما ذكرنا آنفا.

أما فى داخل البلاد فقد اشتعل الحماس واحتفلت الجماهير اليابانية بهذه الانتصارات المتوالية على الرغم من عدم مضى وقت طويل على بدء الحرب، وزاد من حماس المواطنين الشـحن الشـديد من قِبل الحكومة وصحفها، وأظهر اليابانيـون ولاء وحبا تجاه وطنهم وقاموا بإصلاحات داخلية ونفذوا السياسـة الدستورية، وقاموا أيضا باستعدادات حربية جيـدة وتمرنوا على اسـتخدام الأسـلحة الحديثة تمرينا جيدا. ومـن الجدير بالذكر هنا اسـتعمال الجيش اليابانى بندقية حديثة اخترعها عقيـد بالجيش اليابانى يدعى موراتا فـى عام ١٨٨٠م وقـام بتطويرها، وهذه البندقية أُنتجت لكى تناسـب أطوال اليابانيين القصـيرة. أما فى الجانب الصينى فلم يكن التسـليح يزيد فى معظمه على بنادق صغيرة يمكن أن تتسلح بها العصابات المسلحة ولم يكن تدريب الجنود كما ينبغى. وعلى الناحية السياسية ففى حين أخذت اليابان بالنظم الأوروبية الحديثة فى تطبيقها الديمقراطية كان الصينيون يمارسون السياسة الاسـتبدادية، ولذلك ضعفت القوى الوطنية وضعفت الدولة الصينية بشكل عام.

وبهـذه الروح العالية وذاك الإعـداد الجيد للحرب توالت الانتصـارات اليابانية على الصين. ففى منتصف شـهر سـبتمبر التقى الأسـطول اليابانى بالمصادفة الأسطول الصينى شمـال المحيـط فى البحر الأصفـر وتبادل الأسـطولان إطلاق النيران ولكـن كانت مهارة الأسطول اليابانى أكثر كثيراً من مهارة العدو وسرعته فى الهجوم مما جعلتا الغلبة للأسطول اليابانـى بعد خمس سـاعات من معركة حاميـة الوطيس هرب بعدها الأسـطول الصينى منهزمـاً. وبالطبع كانت فرحة اليابانيين بهذا الانتصار عظيمة جدا لأن الانتصار جاء على

أســطول كان يفخر دائما بأنه الأقوى بين أســاطيل الشرق. وكان من أهم نتائج هذه المعركة البحرية أن اليابان اســتطاعت أن تتحكم فى البحر الأصفر وتفرض ســيطرتها تماماً عليه. ثــم إن هذه المعركة كانت فاتحة خــير أمام الجيش اليابانى لتتوالى انتصاراته على الجيش الصينى. فقد نزل الجيش الأول بقيادة الجنرال ياماجاتا أريتومو الذى يلقب بأبى الجيش اليابانى الحديث بقواته بعد أقل من شــهر واحد إلى الأراضى الكورية واتجه إلى منشــوريا عبر نهر يالو حيث استولى على المراكز العسكرية الصينية المهمة فى كيوليان تسينج وفينج هوانج تشــينج، وفى منتصف ديسمبر استولى على هاى تشينج، وأقام حكومة عسكرية فى آنتونج لمعالجة الأمور المدنية.

أمــا الجيش الثانى بقيادة أوياما إيوائــو Oyoma Iwao (١٨٤٢م – ١٩١٦م) فقد قام بالنــزول إلى شــبه جزيرة لياونونج فى أواخر شــهر أكتوبر. وفى هــذه الأثناء تلقى الزعيم الصينى (ريوكو شــو (١٨٢٣م – ١٩٠١م) انتقادات شــديدة بسبب هزيمة الجيش اليابانى نظيره الصينى فى عدة مواقع مما حدا به لأن يطلب إجراء المفاوضات مع الجانب اليابانى لوقف إطلاق النيران. إلا أن طلبه رفض، واستمر الجيش اليابانى فى هجومه المتلاحق على القوات الصينية. ففى ٦ نوفمبر قام باحتلال مدينة دايرن (كينشو) ذات الأهمية العسكرية. وفــى ٢٢ منــه احْتَلّ ميناء بورت آرثر (ريوجون) ذا الأهمية التجارية، ثم ما لبث أن أنزل قواته إلى شبه جزيرة شانتوتج، وبعد ذلك قام بالهجوم على ميناء واى هاى واى فى فبراير ١٨٩٥م. ثم كانت الضربة الكبرى للأسطول الصينى حينما تم إغراق ثلاث بوارج من أضخم بوارجه، وقد حاول هذا الأســطول المقاومة حتى النهاية إلا أن انتشــار الشعور بالضجر من الحرب بين الجنود جعل قائده تيجوشــو لا يســتطيع مواصلة القتال وأقدم على الانتحار عندما شاهد الكارثة التى حاقت بأسطوله. ونتيجة لكل هذه الأحداث قامت باقى وحدات الأســطول الصينى بالاستســلام. وفى مارس ١٨٩٥م قام الجيش اليابانى باقتحام مدينتى جيوصو (Giyoso) وأيكو Eiko، وبعيدا فى الأقاليم تم احتلال جزيرة هوكو. وهكذا توالت الهزائم على الصين – الواحدة تلو الأخرى – دون أن يلوح فى الأفق أمل لأن يتحول المد إلى صالحهــا. فلجأت الحكومة الصينية إلى طلب الهدنة، وعليه قدمت اليابان شــروطها لقبول الهدنة وكانت كما يلى:–

١ – أن يكون لى هونج شــانج (ريكوشــو فى المصادر اليابانية) رئيس وزراء الصين هو المبعوث الصينى فى المفاوضات.

٢ – أن تُسلم ثلاث مدن صينية لليابان هى مدينة شاى هاى كوان وهى البوابة الرئيسية نحو شمال الصين عبر سور الصين العظيم، ومدينة تنتشين وهى مدينة صناعية، ومدينة تانجو Tangku وهى ميناء مهم لمدينة تينشين.

ولقد رفضت الصين هذه المطالب فى البداية، إلا أنها قبلت مبدأ المفاوضات وسافر رئيس الوزراء الصينى إلى ميناء شيمونوسيكى اليابانى للتفاوض حول شروط التسوية. وقد انتهت الجولة الأولى من المفاوضات إلى طريق مسدود إزاء تشدد اليابان فى مطالبها، وقد قام بعض المتطرفين اليابانيين بالاعتداء على رئيس الوزراء الصينى لى هونج شانج أدى إلى إصابته، وكان لهذا الحادث تأثير كبير فى سير المفاوضات فأعلنت اليابان اعتذارها رسمياً عن الحادث وقام رئيس وزراء اليابان بزيارة لى فى المستشفى وأرسل الإمبراطور اليابانى طبيبه الخاص للعناية به. واضطرت اليابان لأن تخفف من شروطها ومطالبها إلى أن تم التوصل إلى اتفاق شيمونوسيكى فى ١٧ إبريل ١٨٩٥م الذى سوف يأتى الحديث عنه فيما بعد.

٤ - نتائج انتصار اليابان:

(أ) زهوة الشعب اليابانى:

رأينا فيما سبق ذكره كيف توالت انتصارات اليابان على الصين وتحقيق جيشها المفاجآت العسكرية سواء فى كوريا أو حتى فى الصين حتى وصلت قواته إلى مشارف العاصمة الصينية بكين. وفى الحقيقة إن هذه الانتصارات لم تكن عفوية أو ضربات حظ ولكنها أتت بعد إعداد يابانى جاد بدأ منذ بداية عصر ميجى أى ما يزيد على العشرين عاماً. فى حين أن الصين أظهرت ضعفا عسكريا واضحا وقصورا فى الوعى القومى فيها. هذا إلى جانب الفساد فى البلاط الإمبراطورى. وعجز المسئولين فيها عن فهم ظروف العصر المحيط لهم. ولقد هزت الهزيمة دعائم النظام الإمبراطورى ليسقط نهائيا بعد عقدين من الزمان. فى حين ترك الانتصار تأثيرا إيجابيا شديدا فى اليابان وشعبها. حيث تزايدت ثقة الشعب اليابانى بالحركة الإصلاحية والثقة بين رجال الأعمال اليابانيين والحكومة ذلك لأن زيادة المشتريات فى أثناء الحرب والفرص التى أتيحت لرجال الأعمال فى القارة الآسيوية فى ظل اتفاقية شيمونوسيكى والتعويضات الصينية التى دفعت بالذهب. كل

ذلـك كان لـه أثره الإيجابى فى دعم الاقتصاد اليابانى وفى زيادة نشـاط البنوك اليابانية فـى الصين وكوريا. يكفـى أن نعرف أن قيمة التعويضات التى دفعتها الصين لليابان وهى ٣٠٠ مليون ين فاقت الدخل العام اليابانى الذى كان يقدر بـ ٢٨٩ مليون ين. وتم تحويل ٣٠ مليـون ين فقط من هـذه التعويضات لتصرف على البـلاط الإمبراطورى اليابانى وعلى التعليـم، والباقـى أى ٢٧٠ مليون ين تم تحويله للمصروفـات الحربية وكذلك كمصاريف للتوسـع الحربى والعسـكرى. وكان لفتح الأسـواق الكورية نتائجه الإيجابية فى التطوير السـريع لصناعة المنسـوجات اليابانية وغيرها من الصناعات الشـعبية. وبالتالى أدى هذا إلى حـدوث تطور فـى الثورة الصناعيـة الأولى التى تُعنى بالأسـاس بالزراعة والصناعات الغابية والمائية وهى ترتبط ارتباطا مباشـرا بالطبيعة وثرواتها. ذلك التطور السريع فى هذه الصناعات أدى بالتالى إلى نمو فى الرأسمالية اليابانية الحديثة، كذلك تم تحقيق ما يسمى بالغطاء الذهبى اعتماداً على قيمة التعويضات الكبيرة التى حصلت عليها اليابان.

أما على مستوى الشعور القومى لليابانيين فقد أحدثت انتصارات اليابان طفرة كبيرة فى هذا المضمار، وجعلت اليابانيين يفخرون ببلادهم وبجيشهم على السواء.

مثلت الحرب اليابانية – الصينية ملحمة كبرى بالنسـبة للشعب اليابانى ذلك لأنها أول حرب كبرى منظمة تشـنها اليابان ضد دولة كبرى فى المنطقة ظلت ولعصور طويلة هى النبراس والكعبة العلمية والثقافية بالنسبة لليابان. ولكن لأن دوام الحال من المحال ولأن قيام الدول وسـقوطها هـى الحقيقة المؤكدة فى التاريخ. فقـد انتصرت الدولة التى أخذت بأسـباب التقدم فى مختلف النواحـى، وهُزمت الدولة التى ابتعدت لفترة طويلة عن هذه الأسـباب. وكما كان الشـعور القومى اليابانى بكل اتجاهاته موجها نحو المعركة فقد انتشرت الصحف التى تتزين بعلم اليابان ذى الشمس المشرقة فى كل مكان فى المدن، وصدحت الأغانى الحماسـية والعسـكرية كل أرجاء المدن وهى تقص حكايات الشهداء. وأدلى الأدباء والمسـرحيون أيضاً بدلوهم فى تصوير المعارك وإيقاد الروح الوطنية من خلال أعمالهم الأدبية والمسرحية.

وازداد حماس المواطنين العاديين كلما شـاهدوا جنودا من أقاربهم أو جيرانهم يذهبون إلى حومة القتال. وكذلك انتقلت جميع الجرائد من اهتمامها بنشر النظريات السياسية إلى نشـر أخبار الحرب وانتصاراتها مما أشـعل حماس المواطنين أكثر وأكثر. ومن ضمن الأدباء

المشـــهورين الذين أدلوا بدلوهم فى إرســـال المراســـلات والأخبار الحربية إلى الوطن الأديب كونيكدا ضابّو Kunikida Dabbo، فقد استطاع الركوب فى بارجة ضخمة، واستطاع من عليها أن يبعث لأخيه الصغير مراسلات حربية من خلال خطابات عادية.

أمـــا على المســـتوى الحزبى ففى بداية الحرب توقفت الأحـــزاب عن مهاجمة الحكومة وانتقادهـــا وأعلنت الأحزاب تضافرها مع الحكومة من أجل الانتصار فى الحرب. كذلك تم تمرير خطة ميزانية المصاريف الحربية الاستثنائية ورفع قيمة هذه الخطة إلى ١٥٠ مليون ين ورفع قيمة الدين العام إلى ١٠٠ مليون ين وذلك فى أقل من خمس دقائق من خلال الاجتماع البرلمانى الســـابع الاســـتثنائى. وقام العديد من المفكرين وأبرزهم فوكوزاوا يوكيتشـــى بدعوة الكيانـــات الاقتصادية الكبيرة وأثرياء البلاد مـــن أجل التبرع للمجهود الحربى أو بالأحرى للدين العام فكان أن تم تجميع ٩٠ مليون ين على الرغم من أن المطلوب كان ٣٠ مليونا فقط.

ومـــا إن تحقـــق الانتصار على الصين حتى شـــعر اليابانيون بفخر وعزة شـــديدين وزاد احتقارهم للصينيين وأخذوا فى التندر والتهكم على الصينيين الموجودين فى اليابان بل إن الأطفـــال الصغار أخذوا أيضا فـــى مضايقتهم فى الطرقات، فلا يجدون من يمنعهم عن هذا التصرف غير اللائق.

وزاد مـــن فخر اليابانيين واعتزازهم بأنفســـهم زيادة عدد الطـــلاب الوافدين من الصين للدراســـة فى اليابان، وهكـــذا حدث تحول كبير فبعـــد أن كان العكس يحدث على مدى سنوات بل قرون طويلة أصبحت اليابان كعبة العلم للصينيين وغيرهم من الدول المجاورة. مما يعد عاملاً نفسياً إيجابياً إلى حد كبير أضيف إلى النتائج الايجابية للحرب ضد الصين.

(ب) معاهدة شيمونوسيكى:

بعـــد انتصار اليابان على الصين وبدءًا من ٢٠ مارس ١٨٩٥م تم عقد مباحثات الســـلام بين الصين واليابان فى ميناء شيمونوسيكى الواقع فى محافظة ياماجوتشى اليابانية، وفى إبريل تم التوصل إلى معاهدة شيمونوسيكى للسلام بين كل من إيتو هيروبومى رئيس الوزراء اليابانى ووزير خارجيته موتســـو مونى ميتســـو من جانب، ورئيس الوزراء الصينى لى هونج شانج من جانب آخر، وطبقا لهذه المعاهدة تقرر التالى:-

١ - اعتراف الصين باستقلال كوريا التام.

٢ - تتخلى الصين لليابان عن شـــبه جزيرة لياوتونـــج وجزيرة فورموزا (تايوان) وجزر البسكادور (بينجو ليادو).

٣ – تدفع الصين لليابان تعويضات قيمتها ٢٠٠ مليون تايل من الفضة وهى تعادل نحو ٣٠٠ مليون ين يابانى.

٤ – تقوم الصين بفتح أربعة موانٍ ومدن أمام التجارة والصناعة اليابانية وهذه المدن هى (شاشـــى وتشـــونج كنج وسوتشاو وهانج تشاو). ويكون النشـــاط اليابانى فى هذه المدن حراً تماماً.

كذلـك تم عقد معاهدة التجـارة والملاحة اليابانية – الصينية بالتأســيس على معاهدة شيموتوسيكى، وهذه المعاهدة الملحقة بمعاهدة شيمونوسيكى تتضمن حقوقاً وامتيازات أخرى لليابان وهى إنشاء محاكم قنصلية يابانية فى الصين وإقرار نظام الضرائب التوافقية وحصول اليابان على حق الدولة الأولى بالرعاية. وتأسيســاً على ما مضى ذكره فإنه قد تم إلغاء حق الصين فى تبعية كوريا لها، وتم الاعتراف لليابان بحرية الحركة والتقدم فى كوريا. كذلك فإن فتح الموانئ الأربع التى ذكرناها فى البند الرابع فتح الطريق أمام الصادرات ورأسمال اليابانـــى نحو الصـــين. وبذلك حصلت اليابان علـــى الامتيازات التى كانـــت لدى الدول الأوروبية فى الصين.

(جـ) التدخل الثلاثى:

بانتصـــار اليابـــان فى الحرب انتقـــل النفوذ داخل كوريا من مســـتعمر قديم وهو الصين إلى مســـتعمر جديد يافع وهو اليابان. وهذا المســـتعمر الجديد الـــذى يمتلك مقومات الدولة الحديثة من قوة عسكرية وحضارة مدنية كان هدفه إنعاش المستعمرات الصينية وأن يجعل منها نقطة انطلاق نحو الصين لكى ينشـــر نفوذه السياسى والاقتصادى فيها. ولكن للأسف لا تأتـــى الرياح دائما بما تشـــتهى الســـفن فقد كانـــت هناك دول كبرى قويـــة لا يعجبها علـــى الإطلاق ويتعارض مع طموحاتها ذلك الانتصـــار اليابانى ونفوذها الجديد فى المنطقة فأفســـدت فرحة اليابانيين بنصرهم الكبير. فقد أوعزت روســـيا إلى كل من فرنسا وألمانيا أن امتلاك اليابان شبه جزيرة لياوتونج سوف يشكل خطرا كبيرا على العاصمة الصينية وسوف يفسد الاستقلال الكورى بل يدمر السلام فى الشرق الأقصى.

وعليـــه فقد تم عقـــد اجتماع فى طوكيو ذاتها يوم ٢٣ إبريل بـــين ممثلى الدول الثلاث وقـــرروا فيـــه تقديم النصح لليابان بالتخلى عن أى تفكير فى الاســـتيلاء على شـــبه جزيرة لياوتونج والجزء الذى تطالب به فى منشوريا. والحقيقة إن روسيا كانت تهدف وتفكر قبل

اليابان فى مد نفوذها إلى شبه جزيرة لياوتونج عبر منشوريا، إلا أنها فوجئت بالاجتياح اليابانى لتلك المناطق. على أية حال لم يكن أمام اليابان إلا أن توافق على طلب هذه الدول وخصوصا أن روسيا تعتبر دولة عُظمى تجاور اليابان من الشمال فلا يجوز إغضابها خاصة أن اليابان كانت خارجة على التو من حربها مع الصين ولا تريد الدخول فى مواجهة جديدة. وأدت موافقة اليابان على إرجاع منطقة مهمة مثل لياوتونج التى حصلت عليها ولكن بدماء أبنائها إلى نقمة اليابانيين وكرههم لروسيا بسبب تدخلها وإقناع الدول الأخرى لإجبار اليابان على ذلك الانسحاب. ومن الجدير بالذكر أن بريطانيا وإن لم تنضم للدول الثلاث فإنها لم تساند اليابان وكانت تظهر الميل نحو تأييد نصيحة الدول الثلاث.

ولكن لأن اليابانيين قوم لا ينسون الإهانة ببساطة، فقد أضمروا الكراهية فى نفوسهم نحو روسيا وصمموا على الانتقام منها يوما ما. ولذلك فقد تحملوا فرض الضرائب الباهظة عليهم من قبل الحكومة عن طيب خاطر وذلك من أجل الإعداد العسكرى الجيد انتظاراً ليوم تتقابل فيه اليابان مع روسيا فى ساحة القتال. وعلت كذلك من جديد نبرة «دولة غنية وجيش قوى» التى شاعت فى بداية عصر الميجى.

وهكذا أصبحت روسيا هى موضع الاستياء الأساسى من قبل اليابان، وكان هذا من عوامل حرب ١٩٠٤م – ١٩٠٥م، وذلك لقيام روسيا بدور الحامية للصين وتقديمها مساعدات مالية لها بل الدخول معها فى تحالف ضد اليابان عام ١٨٩٦م، كما سعت روسيا للحصول على امتيازات فى كوريا وبصفة خاصة بعد تورط الموظفين اليابانيين فى اغتيال ملكة كوريا وهروب الملك وطلب الحماية من البعثة الروسية، وهكذا دخلت اليابان فى اتفاقيات مع روسيا عامى ١٨٩٦م و١٨٩٨م لتسوية خلافتهما حول كوريا، ففى عام ١٨٩٦م أقيم احتفال كبير فى موسكو من أجل تتويج نيكولاى الثانى إمبراطوراً على روسيا، وهذا الإمبراطور كان قد تعرض وهو مازال أميرا لهجوم من شرطى ياباني فى أثناء زيارته لليابان. وفى اليابان صرح رئيس وزرائها آنذاك إيتوهيروبومى بأنه يريد الذهاب إلى موسكو لحضور حفل تتويج الإمبراطور إلا أنه قوبل بمعارضة مجلس الوزراء.

على أية حال فقد تقرر آنذاك أن يحضر هذا التتويج القائد العسكرى الفذ ياماجاتا أريتومو ولم تكن اليابان تهدف من وراء ذلك مجرد حضور حفل التتويج فقط ولكن لكى تستطيع من خلال هذا الحضور إجراء محادثات مع روسيا وإبرام اتفاقية معها فيما يخص

الأمـر الكورى. وبالفعـل تم عقد مباحثات بين الجنرال ياماجاتـا أريتومو ووزير خارجية روسيا حول إقرار عدة نقاط مهمة منها الدعم المشترك من البلدين للاقتصاد الكورى، وإرسال قوات إلى كوريا فى حالة حدوث اضطرابات فيها بعد موافقة من البلدين بل إن هناك وثائق سـرية روسية تتحدث عن تحديد ياماجاتا لخط عرض ٣٨ شمالاً كحد بين اليابان وروسيا لتقسيم كوريا بين البلدين.

وفى الحقيقة إن روسيا كانت تفضل التفاوض مع الزعيم الصينى لى هونج شانج أكثر من ياماجاتا، ولذلك فإنها كانت فى خلفية الاتفاق بين ياماجاتا – لوبانوف – وزير خارجية روسيا – أسست تحالفا عسكريا بينها وبين الصين يعتبر اليابان عدوا للبلدين.

هكذا رأينا الصراع اليابانى الروسـى واضحا بسـبب أطماع كلا البلدين فى الصين وفى كوريا على السـواء. ولذلك تتغافل معظم المراجع التى تتحدث عن تاريخ اليابان عن الدور الألمانـى، وهو فـى الحقيقـة كان دورا ميكافيلليا حاولت ألمانيا من خلالـه الوقيعة بين روسـيا واليابـان بإبعاد الأولى عن مناطق الصراع فى أوروبـا وخاصة فى دول البلقان. فقد أوعـز الإمبراطور وليهام الثانى إمبراطور ألمانيا إلى إمبراطور روسـيا مونيكولاى الثانى بأن اليابانيين وهم من سـلالة الجنس الأصفر سـوف يفعلون ما فعله أجدادهم المغول – الصفر أيضاً – من قبل ويقومون بطرد النفوذ الأوروبى من آسـيا بل يطاردونهم فى أماكن أخرى قـد تمتـد إلى أوروبا ذاتهـا. وبالطبع لم يكن وليهام يهدف من كلامـه هذا التخويف من التهديد اليابانى على أوروبا بقدر ما كان يرمى إلى توجيه قوة روسـيا إلى آسـيا وإبعادها عن أوربا كما ذكرنا.

ومـن ناحية أخرى فقد تعارضت المصالح الروسـية الألمانية فى البلقان مما أدى إلى أن تتجه روسـيا للتعاون الرأسمالى مع فرنسـا. وفى الحقيقة إن فرنسا وجدت فى ذلك فرصة جيدة للغاية لتجعل من روسيا وهى الدولة القوية عسكريا حليفا لها يعضد من موقفها الدولى فى ثنايا عالم يتصارع بشدة.

(د) نتائج الحرب الوخيمة على الصين:

عرفنا فيما سـبق أن مؤتمر شـيمو نوسـيكى انتهى إلى عدة تنازلات من الصين لليابان. والبنـد الثالث من هذه التنازلات هـو أن تدفع الصين لليابان تعويضات قيمتها ٢٠٠ مليون تايل (٣٠٠ مليون ين). ولكى تستطيع الصين دفع هذه التعويضات فكان عليها أن تقترض

من الدول الغربية، ولكن الغريب أن دولاً مثل روسيا وفرنسا وإنجلترا وألمانيا أجبرت الصين على قبول قروض منها تجاوزت قيمة التعويضات بكثير، حيث اقترضت الصين مبلغ ٣٧٠ مليون تايل وهو ما يعادل أربعة أضعاف دخل الحكومة الصينية السنوى فى ذلك الوقت. وهذه القروض كانت بمثابة تأمين لضرائب السلع والجمارك وكذلك تأمين لامتيازات الخطوط الحديدية والمناجم التى تحصل على حق مدها وحفرها الدول الدافعة للقروض. وكأن منح القروض كان بمثابة اغتصاب للامتيازات وكان يعد كأحد طرق الغزو آنذاك.

كذلك حولت هذه الحرب الصين من كونها «أسدا نائما» إلى «أسد ميت». وكانت اليابان تتصور أن الصين سوف تصبح فريسة لها وحدها ولكنها للأسف دعت الجوارح من الدول الاستعمارية لكى تتجمع حول جثمان هذا الأسد المقضى عليه لكى يأخذ كل منها ما يستطيع التهامه من الوليمة التى أعدتها لها اليابان. فاجتاحت القوى الغربية كل أنحاء الصين تقريبا. وتحولت مناطق عديدة من الصين إلى أسواق استعمارية لمختلف الدول الغربية. فمثلا حصلت إنجلترا على حق إيجار ميناءى كولون وهاى واى هاى لمدة ٩٩ عاما. و كذلك حصلت على حق مد خطوط السكك الحديدية فى كل أنحاء منطقة وسط الصين، وكذلك حق حفر المناجم. أما فرنسا فقد حصلت على حق إيجار كل مناطق خليج كوانتشو الواقع فى إقليم كانتون وذلك لمدة ٩٩ عاما أيضا، وبالتالى أصبح هذا الخليج منطقة انتداب فرنسية حتى أعيد للصين فى عام ١٩٤٥م. وكذلك ألمانيا حصلت هى أيضا على حق إيجار كل منطقة خليج تشاوتشو الواقع فى إقليم شانتونج وذلك لمدة ٩٩ عاما أيضا. وأصبحت هذه المنطقة أيضا منطقة انتداب ألمانية، وإلى جانب ذلك حصلت ألمانيا على حق مد الخطوط الحديدية فى كل أنحاء إقليم شانتونج وكذلك حفر المناجم بها.

ثم نأتى إلى روسيا التى كانت السبب فى بدء تلك السلسلة الطويلة من التدخلات الغربية فى الصين. فقد حصلت على حق الانتداب فى منطقتى لوشون ودالیان الواقعتين فى شبه جزيرة لياوتونج لمدة ٢٥ عاما كذلك حصلت على حق حفر المناجم والتعدين فى منطقة منشوريا الواسعة ومد خطوط السكك الحديدية التى تسمى سكك حديد شرق الصين، وهذا الخط الجديد هو الذى مكن روسيا من توفير وسائل للاتصال السريع لكى تصل إلى المحيط الهادى، أى إمكانية الوصول إلى ميناء فيلاديفستك مباشرة دون الانحناءة الطويلة عن طريق نهر آمور.

والغريب فى الأمر أن تلك الامتيازات والحقوق التى حصلت عليها الدول الأوربية تمت فـى فترة وجيزة من الزمن لا تتعدى أربع سـنوات بعد الحـرب اليابانية – الصينية وهى كذلك تمت فى غاية السـهولة واليسـر دون أدنى مقاومة أو معارضة من الصينيين مما يدل على غياب الوعى القومى لديها وكذلك يدل على مدى تأثير هزيمتها أمام اليابان.

وهكذا تم تقسـيم الصين بين الدول القوية ما بين مناطق انتداب وخطوط سكك حديدية ومناجم غربية ثم سرعان ما تحولت مناطق النفوذ هذه إلى مرحلة احتكارية حتى أصبحت فى النهاية مناطق استعمارية.

ثم سـرعان ما دخلت أمريكا فى لعبة الامتيـازات وحولت نظرها إلى الصين وذلك بعد انتصارها فى الحرب على أسبانيا ووضعها الفلبين تحت سيطرتها. ففى عام ١٨٩٩م طالب وزير دفاع أمريكا آنذاك جون هاى الدول الاستعمارية الأخرى تطبيق سياسة الباب المفتوح فى الصين حينما شعرت أمريكا بأنها لابد أن تلحق بالوليمة وإلا فما نالت شيئا منها.

هكذا أصبحت الأوضاع فى الصين وفى الشـرق الأقصى بوجه عام معقدة للغاية وأصبح على اليابان إذا ما أرادت التوغل فى قارة آسيا أن تجعل من أية دولة من تلك الدول القوية حليفا لها.

وبالفعـل تم عقد اتفاقية ثانية مع روسـيا تتعلق بكوريا فى عام ١٨٩٨م ولكن خشـت روسـيا من أن هذه الاتفاقية سـوف تعترف لليابان بتطوير تجارتهـا وصناعتها فى كوريا وأنها لن تستطيع أن تحد من هذا النفوذ اليابانى الذى سوف يصل بها إلى حد مد نفوذها السياسى فى كوريا مما جعلها تنقض هذا الاتفاق.

٥- رد الفعل الصينى والتحالف اليابانى - الإنجليزى

لم يكن الصينيون ليرضوا عن الهزيمة من اليابان بسهولة، فكان هناك ردان للفعل على هذه الهزيمة الأول إصلاحى والثانى مقاوم.

أما الأول فيقوم أساسا على الانبهار باليابان وما وصلت إليه من تقدم مكنها من التغلب على بلد كبير مثل الصين. وقد مثل هذا الرد ما كان يطلق عليها «حركة إصلاح المائة يوم» التى نادى بها المفكر كانج بووى، وكانت اليابان هى النموذج السياسى الذى دعا لإصلاح بلاده على غراره حيث أهاب بالإمبراطور أن يسلك سبيل اليابان فى الإصلاح. وفى يونيه ١٨٩٨م عرض عليه الإمبراطور رئاسـة الحكومة فأصدر عدة قوانين اسـتهدفت إقامة دولة

حديثة فى الصين. ومن أبرز الأغراض التى سعى لتحقيقها هى القضاء على البيروقراطية الصينية وإعادة تنظيم الوظائف وإرساء التعليم على أساس دراسات غربية وصينية وإنشاء نظام المدارس العامة وإيجاد صحافة شعبية، وإقامة هيئات نيابية محلية منتخبة من الشعب على أن يتلو ذلك إقامة نظام برلمانى كامل، كذلك إعادة تنظيم القوات المسلحة وإخضاعها لسلطة الحكومة المركزية ثم فى النهاية تكوين مؤسسات تعمل على النهوض بالصناعة والزراعة والتجارة والتعدين.

ولكن هذه الحركة الإصلاحية سرعان ما اصطدمت بمعارضة القوات العسكرية التابعة لحكام الأقاليم وكذلك بمعارضة القوى المحافظة فى الصين وفى البلاط الإمبراطورى نفسه التي رأت أن البرنامج ثورى وليس إصلاحياً وتزعمت هذه الحركة الإمبراطورة الصينية التى قامت بانقلاب ضد الاتجاه الإصلاحى وقبضت على الإمبراطور وأعدمت عددا من قادة حركة الإصلاح.

أما الرد الآخر من الصينيين فجاء مقاوما بعنف التدخل اليابانى والغربى على السواء، وتمثل ذلك فى الأساس فى حركة أو انتفاضة البوكسر (Giwadan)، فقد تولد إحساس قومى لدى الصينيين بأنه لا يمكنهم الصبر على احتلال الأجانب لبلدهم العريق. وهذا الشعور ولد حركة قومية تنادى بطردهم من الصين. وكانت جماعة البوكسر أو الملاكمين هى المحور الأساسى لهذه الحركة. وقد ولدت هذه الحركة من رحم تشكيل دينى سرى فى بداية القرن الثامن عشر، وأعضاء هذه الحركة كانوا يعتقدون أنه باستخدام تعاويذ دينية يمكنهم أن يصدوا أى هجوم عليهم، وأن السهام ولا حتى طلقات الرصاص لن تؤثر فيهم. وقد بدأت هذه الحركة نشاطها الفعلى منذ عام ١٨٩٥م إبان الحرب اليابانية – الصينية، وذلك عندما هاجموا الكنائس والمسيحيين وعلى الأخص فى مقاطعة شانتونج، ثم ما لبثوا أن مدوا نفوذهم فى الريف والمدن وبين المثقفين كذلك. وانتشرت بين هؤلاء جميعا عبارات مثل «فلنطرد الأجانب» ولم يتوقف الأمر عند الشعارات فقط بل إنهم قاموا بتدمير كنائس المسيحيين كما أسلفنا وقتل مبشريهم وانتزاع قضبان السكك الحديدية التى أنشأها الأجانب وفى منتصف عام ١٩٠٠م قامت جموع الناس مع الجنود الصينيين بتطويق قنصليات عدد من الدول الأجنبية. ثم قاموا باغتيال القنصل الألمانى وسكرتير القنصلية اليابانية ببكين. وبالطبع لم تقف الدول الأجنبية مكتوفة الأيدى أمام هذه الاعتداءات من المواطنين

الصينيين وجماعات الملاكمين وحتى من الجنود التابعين للحكومة الصينية. وقامت ثمانى دول بإرسال قوات لها إلى الصين ولكن كان لليابان نصيب الأسد من هذه القوات.ولذلك تم تقدير الدور اليابانى فى إخمادها هذه الثورة الصينية ولقبت بشرطى الشرق الأقصى، وكان يعضد الجيش اليابانى جيوش من روسيا وإنجلترا وأمريكا وفرنسا وغيرهن. إلا أن الجيش الروسى على الأخص استغل إخضاع جماعات الملاكمين كحجة له للتمركز فى منشوريا، وهو ما اعتبر من الأسباب الرئيسية لتوتر العلاقات اليابانية – الروسية.

وأمام هذه الحشود من الجيوش الأجنبية لم تجد الصين بدا من إعلان الحرب عليها جميعا فى ٢٥ مايو ١٩٠٠م لتبدأ الحرب بين الجيش الصينى وجيوش الدول المتحالفة وذلك بعد أن تحرك جيش الحلفاء نحو بكين. وفى ٢٤ أغسطس سقطت بكين فى يد جيش الدول المتحالفة. ومن الجدير بالذكر أنه تم اشتراك ١٨ ألف جندى لجيش الحلفاء فى معركة بكين السابق ذكرها من بينهم عشرة آلاف جندى من اليابان فقط مما يبين مدى اهتمام اليابان بما يحدث بالصين.

وإلى جانب ذلك أرادت اليابان أن تؤكد دورها الإقليمى والعالمى بإظهار أنها هى التى تحمى الجاليات الأجنبية كما تحمى جالياتها فى الصين، وكأن الظروف دائما ما تتوانى لليابان من أجل إثبات جدارتها الحربية فقد كان للدول المتحالفة ما يشغلها عن الوضع فى الصين، فإنجلترا مشغولة بتقسيم مستعمراتها بإفريقيا، وأمريكا مشغولة بالوضع المتفجر فى الفلبين التى انتزعتها من إسبانيا، فلم تستطيعا إرسال قوات كافية إلى الصين. واضطرت انجلترا أيضا أن تعتمد على اليابان كقوة مجابهة لروسيا.

أما الصين التى انهزمت فى معركتها أمام الدول الثمانى المتحالفة فقد اضطرت إلى دفع غرامة مالية ضخمة هى ٤٥٠ مليون تايل صينى. كذلك اضطرت للاعتراف بوضع قوات لجميع هذه البلاد فى كل من بكين وتنشين وذلك لحماية مواطنيهم القاطنين. وكان ذلك بمثابة ضربة قاسية لها حيث إنه لم يمر سوى خمس سنوات فقط على انتهاء الحرب اليابانية – الصينية، وكم تكبدت الصين من تلك الحرب مادياً ومعنوياً كما أسلفنا. وبالطبع تلقت جماعات البوكسر (Giwadan) مصيراً مؤلماً على يد جيش الدول المتحالفة، ولكن بعد هذا الانتصار للمتحالفين وإخضاعهم للعدو المشترك الذى يتمثل فى حركة الملاكمين والحركات القومية الصينية بدأ التنافر يظهر بين هذه الدول من أجل افتراس الوليمة التى حصلوا عليها.

فى هذه الأثناء أُرغم إيتو هيروبومى على تشكيل وزارته الرابعة، وكانت أولى مهام هذه الـوزارة تدبير نفقات القوات الخاصة بأحداث ثـورة الملاكمين وإخمادها. ومن أجل ذلك الهدف كان عليها أن تفرض ضرائب جديدة على الخمور والأرز وزيادة جمارك الموانى.

ولم تهتم وزارة إيتو بما إذا كان فرض الضرائب شيئا سيئا أو جيدا ولكن اهتمامها انصب علـى أن تحذو حذو باقى الدول فى فـرض الضرائب وزيادتها وعليه أخذت فرضية زيادة الضرائب وعدم التردد فيها أمرا يتنامى ويتعاظم. ولكن لم يكن الأمر ليمر بهذه السـهولة فقـد كانت هنـاك عراقيل تكمن فى الطريق. فعندما قد ت الخطة المتعلقة بزيادة الضرائب إلى مجلس النبلاء تم إفشالها عن طريق القوى المعارضة التى تنتمى إلى محافظة ياماجاتا من أمثال كيو اورا – كيجو Kyoura keigo (١٨٥٠م – ١٩٤٢م) وهيراتا طوسـيكى Hirata Tosuke (١٨٤٩م – ١٩٢٥م) وغيرهما.

وهنا طلب إيتو من العسكرى السياسى الفذ ياماجاتا التدخل لدى أتباعه من المعارضين حتى يمرر خطة رفع الضرائب. ولما لم يفلح هذا التدخل تقدم إيتو بطلب مباشر للإمبراطور لإمرار الخطة، وهكذا مررت أخيرا تلك الخطة عبر مجلس النبلاء.

ولكن لوجود معارضة قوية لمجلس وزراء إيتو الرابع فقد قام بتقديم اسـتقالته. وبذلك لم يستمر هذا المجلس الرابع سوى سبعة أشهر فقط. ومن الجدير بالذكر أنه قبيل تشكيل هذه الوزارة الرابعة لإيتو تم تأسيس الحزب الدستورى برئاسة إيتو.

رأينـا كيف أن الجـرح اليابانى كان عميقا بسـبب التحالف الثلاثـى ضدها، ثم زاد هذا الجرح بل والرعب اليابانى من روسـيا ذلـك التدخل من جانب الأخيرة فى كوريا ثم اسـتغلالها لاضطرابات ثورة الملاكمين وإرسالها قوات ضخمة إلى منشوريا حتى بعد انتهاء هذه الأحداث فى الصين ثم زاد الطين بلة عقد روسيا مع الصين معاهدة سرية تم بمقتضاها اعتراف الصين لروسـيا بتمركز القوات الروسـية بمنشوريا وفى مواجهة هذا النفوذ الروسى المتنامى فى منشـوريا فإن إنجلترا التى كانت فى علاقة متنافرة مع روسـيا عقدت اتفاقية بينهـا وبين ألمانيا تنص على عدم غزو أراضـى الصين بحجة الاضطرابات فيها، بل إنها طالبت باقى الدول أيضاً للانضمام لتلك الاتفاقية.

أما اليابان التى كانت تشـعر بالقلق الشـديد من الغزو الروسـى فقد انضمت فى الحال إلى تلـك الاتفاقية، ولكن ألمانيا أخذت الموقف الذى يرى أن هذه الاتفاقية لا تنطبق عليها منشـوريا. ولذلك فإن رغبة اليابان فى أن تجعل من هذه الاتفاقية عائقاً أمام روسيا راحت

أدراج الرياح وبالنسبة لألمانيا فإنها لم تكن ترغب فى المواجهة مع روسيا. وفى الوقت ذاته لم تكن ترغب فى تعميق علاقاتها مع إنجلترا ثم كانت الطامة الكبرى عندما وقعت روسيا معاهدة أخرى عام ١٩٠١م مع الصين أكدت احتلالها لمنشوريا. فطبقا لهذه المعاهدة الجديدة تتعهد الصين بألا تضع قوات لها فى منشوريا حتى الانتهاء من خط سكك حديد شرق الصين، وألا تعطى لأية دولة أخرى أية امتيازات فى منشوريا ومنغوليا، إلى جانب الاستمرار فى الاعتراف لروسيا بحق تمركز قواتها فى منشوريا.

وعلى الرغم من الضغوط التى مارستها اليابان وأنجلترا على الصين لكى ترفض الطلبات والامتيازات الروسية، فإن روسيا لم تلتفت لطلبات الصين من أجل الحد من امتيازاتها وواصلت احتلالها لمنشوريا وهكذا واجهت اليابان تحديات روسية فى الصين وكوريا وكذلك كان موقف إنجلترا من روسيا لم يكن وديا على الإطلاق. فقد واجهت هى أيضا تحديات وأطماعا روسية فى البلقان وشرق آسيا.

وإلى جانب هذين البلدين لم تكن ألمانيا أيضاً على وئام مع روسيا. وكانت أن بدأت الثالثة بإقامة تحالف ثلاثى مع اليابان وإنجلترا ضد روسيا.أما الذى اقترح هذا التحالف فكان السفير الألمانى فى إنجلترا وذلك وقت وزارة إيتو الرابعة وبالفعل بدأت اليابان مشاورتها بخصوص هذا التحالف مع إنجلترا، ولكن الطريف أن ألمانيا التى أطلقت هذا الاقتراح انسحبت منه بعد ذلك، وظل التشاور يابانيا – بريطانيا فقط، وذلك على الرغم من أن إنجلترا كانت دائما ما تعتقد فى أفضلية عدم الدخول فى تحالفات مع الدول الأخرى أو بالأحرى ما سمى آنذاك بالعزلة المشرفة.

وفى الواقع أنه فى نهاية عام ١٩٠١م تصارع رأيان سياسيان فى الساحة اليابانية فيما يتعلق بالمواجهة مع روسيا الأول كان يتزعمه السياسى الكبير ايتوهيروبومى وصديقه انيوأوى كائورو Inone Kaoru (١٨٣٥م – ١٩١٥م). فقد كانا يعتقدان أنه يمكن الاتفاق مع روسيا وذلك فى أن تطلق اليابان يد الروس فى منشوريا على أن تطلق روسيا يد اليابانيين فى كوريا كما حدث بالفعل فى الاتفاق الودى الذى تم الاتفاق عليه بين إنجلترا وفرنسا بما يتعلق بالمستعمرات العربية فى عام ١٩٠٤م.

ومن أجل تحقيق هذا الهدف قام إيتو هيروبومى بعمل مباحثات بالفعل مع وزير خارجية روسيا فى سبتمر من عام ١٩٠١م فى بطرسبرج وذلك فى طريق عودته إلى اليابان

مـن الولايات المتحدة الأمريكية بعـد حصوله على الدكتوراه الفخرية من جامعة يال Yale بمناسبة مرور مائة عام على إنشائها.

وفى أثناء هذه المحادثات أعرب إيتو عن رغبته فى أن تتعهد البلدان على ألا يستعملا الأراضى الكورية من أجل أهداف عسـكرية وألا يقوما بعمل إنشاءات عسكرية تهدد حرية الملاحة فى المضيق الكورى.

وكذلك تعترف روسيا بحرية اليابان فى ممارسة النواحى السياسية والتجارية والصناعية فى كوريا وأيضا مد يد العون العسـكرى والمعنوى لكوريا فى حالة حدوث أية اضطرابات فيها. وفى مقابل ذلك تعترف اليابان بالامتيازات والحقوق الروسـية فى منشـوريا إلا أن كل هـذه الطلبـات من إيتو لم تقبلها روسـيا فقـد وافقت على حرية حركـة اليابان فيما يتعلـق بالأمور التجارية والصناعية فى كوريا ولكن المطلب الأهم والملح لليابان وهو الحرية السياسية لم يتم الاعتراف به، وبرغم ذلك لم يفقد إيتو الأمل وحاول أن يقنع رئيس الوزراء كاتسورا بأن يؤجل مؤقتاً المباحثات مع إنجلترا من أجل التحالف.

ولكن كاتسـورا الذى كان يشـعر بعـدم الرضا من مباحثات إيتو مـع الروس مضى فى مباحثاته مع إنجلترا مؤيدا الرأى الثانى الذى كان الأب الروحى له هو الجنرال الفذ وأبو العسـكرية اليابانية ياماجاتا اريتومو، فقد صرح ياماجاتا بأن التحالف مع إنجلترا سـوف يكون لصالح اليابان وذلك من أجل الحصول على امتيازات تجارية وحق حفر المناجم ومد السكك الحديدية فى الصين. وأنه ليس هناك ما يمنع من مواجهة روسيا من أجل تحقيق هـذه الامتيازات فى حين أن إيتو الذى قام بمباحثاته مع وزير خارجية روسـيا كان يرى أن اليابان ليس لديها ثقة بالدخول فى حرب ضد روسـيا، ولذلك كان يتجنب مواجهتها عسـكريا. ومن رأينا أن انتصار اليابان على الصين وشـعور الحنق والغضب على روسيا فى الأوسـاط الرسمية والشـعبية اليابانية إلى جانب رغبة اليابان فى الولوج إلى مصاف الدول المتقدمة بقوة وثبات، كل هذه الأسـباب إلى جانب الصلف الروسـى الذى يعتمد على القوة العسـكرية التـى كانت تشـتهر بها أدى إلى إقـدام اليابان إلى عقد التحالـف الثنائى مع إنجلترا. فبهذا التحالف تسـتطيع إنجلترا استعمال اليابان كدرع أمام التقدم الروسى نحو جنوب آسيا وتستطيع اليابان مواجهة روسيا وهى محمية الظهر بإنجلترا.

علـى أيـة حال، تم التوقيع علـى معاهدة التحالف فى فبرايـر ١٩٠٢م، ونصت هذه المعاهدة على ما يلى:

١ – تتعهد الدولتان الموقعتان على المعاهدة بضمان استقلال كل من الصين كوريا وأن تحافظا على سلامة أراضيهما.

٢ – تتعهد إنجلترا بحماية الامتيازات السياسية والاقتصادية الخاصة باليابان فى الصين وكوريا وأن تتعهد اليابان بحماية نفس الامتيازات الخاصة بإنجلترا فى الصين.

٣ – تحافظ إحدى الدولتين على الحياد التام إذا ما بدأت الدولة الأخرى الحرب ضد دولة ثالثة فإذا كانت الحرب بين إحدى الدولتين وبين أكثر من دولة فعلى الدولة الأخرى المتحالفة أن تمد يد العون للدولة الأخرى، وكما أسلفنا القول فإنه من خلال بنود هذه المعاهدة نرى أنها تمكن إنجلترا من اتخاذ الإجراءات اللازمة فى الصين لحماية مصالحها، ولذلك فإنها اضطرت إلى التخلى عن مبدئها القديم والشهير فى «العزلة المشرفة» ولذلك فعندما أقدمت على عقد هذا التحالف فإنها أسعدت اليابانيين أيما سعادة لأنهم استطاعوا أن يتحالفوا مع دولة إمبريالية قديمة وهى الإمبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس حتى إن معظم المدارس رفعت أعلام الدولتين المتحالفتين ابتهاجا بهذه المعاهدة.

وبتلك المعاهدة فإن اليابان انتقلت من مصاف الدول الرأسمالية النامية إلى مصاف الدول القوية الإمبريالية المتقدمة. ومن ثم فقد استثمرت اليابان الصراع بين الدول الكبرى من أجل الدخول فى معترك السياسة العالمية وشرعت فى التخطيط من أجل غزو قارة آسيا.

٦ - الحرب اليابانية – الروسية ١٩٠٤م - ١٩٠٥م

(أ) إرهاصات الحرب

منذ نهاية عام ١٩٠١م كانت كل الأمور تتجه نحو المواجهة العسكرية بين اليابان وروسيا فقد فشل إيتو فى عقد اتفاقية تجارية مع روسيا تهدئ من أجواء التنافس الشديد بين البلدين، فى حين نجح رئيس الوزراء كاتسورا فى عقد معاهدة التحالف مع إنجلترا فى بداية عام ١٩٠٢م كما رأينا.

ولم تألُ روسيا أيضا جهدا فى تأجيج نار هذا الصراع فعلى الرغم من عقدها اتفاقية مع الصين فى إبريل ١٩٠٢م تقضى بإرجاع منشوريا للصين، فإن هذه الاتفاقية لم تنفذ على الإطلاق.

وما زاد الطين بلة أن روسيا قامت بزيادة قواتها فى المناطق الحدودية مع كوريا. كذلك عملت روسيا على أن تمتد فعالية التحالف الروسى – الألمانى حتى يصل إلى الشرق الأقصى وذلك فى مواجهة التحالف اليابانى – الإنجليزى.

ولعلم القادة اليابانيين بمدى قوة روسيا العسكرية فقد كان عليهم أن يستعدوا استعداداً جيدا لهذه المواجهة. وخاصة أن القيادة التى تسلمت المسئولية من ايتوهيربومى كانت من الصقور اليابانية. فعمل كاتسورا على تقوية القوات المسلحة وزيادتها وخطط لزيادة الضرائب على الأراضى ليوفر الموارد المالية لهذا الهدف.

وفى البرلمان عارض الحزب الدستورى فى البداية هذا التوجه، ولكن عندما أقنعهم كاتسورا بأن التكاليف سوف يتم تدبيرها عن طريق الدين العام .تمت الموافقة على هذا الاتجاه، ومن الغريب أن الذى عارض كاتسورا فى أمر تدبير نفقات زيادة التسليح عن طريق زيادة الضرائب كان إيتو.

وفى الحقيقة إن إيتو ذاته هو الذى بدأ فى تطبيق اقتراح خطة زيادة الضرائب على الأرض وذلك بعد الحرب اليابانية – الصينية مباشرة ولكنه عاد وعارضها ويمكن تعليل هذه المعارضة لسببين:

الأول: أن إيتو أصبح رئيس حزب السيوكاى المعارض للحكومة. فكان عليه أن يفكر من منطلق مصلحة الجماهير التى سوف تعانى من هذه الضرائب.

الثانى: أن علاقة إيتو كانت على طول الوقت متوترة بكاتسورا. وليس معنى ذلك أن إيتو كان معارضا لخطة التوسع فى التسليح ولكن معارضا للوسائل التى يمكن عن طريقها تمويل هذه الخطة.

كانت الحكومة اليابانية أو الأوساط الرسمية تعد للحرب مع روسيا فى تؤدة وحذر فى الوقت نفسه. فهى تدرك مدى خطورة المواجهة مع دولة عظمى فى حجم روسيا. ولذلك كانت تنتظر حتى تتهيأ الظروف تماماً لتلك المواجهة الصعبة. وفى مواجهة هذا الصبر والحذر الرسمى كان هناك استعجال من المواطنين الذين كانوا يريدون الثأر من روسيا التى قادت التحالف الثلاثى ضد اليابان ووجهت إهانة لها، وهو ما سوف نتناوله فيما بعد. على أية حال، كانت الحكومة والجيش يعدان للحرب ضد روسيا فى صمت وتصميم فى آن واحد. وحادثة موت أكثر من مائتى ضابط وجندى متجمدين فى جليد محافظة آمورى

الشهيرة بشتائها القارس ذى الجليد الكثيف وذلك فى فبراير عام ١٩٠٢م خير دليل على عزم اليابان الرسمية على خوض غمار الحرب ضد روسيا.

ففى جبل هاكوداسان (Hakko dasan) الجليدى قامت فرقة من المشاة بالتدريب هناك. وذلك لاختبار قوة تحمل القوات اليابانية على القتال فى الأماكن ذات الجليد الكثيف. والحقيقة أن الجيش اليابانى كان يتوقع أحد الاحتمالين الأول إذا ما تقدمت القوات الروسية إلى داخل الأراضى اليابانية فى هذه المناطق الجليدية، والاحتمال الثانى إذا ما تقدمت القوات اليابانية نحو سيبريا فسوف يكون على الجنود اليابانيين أن يخوضوا معارك فى مناطق متجمدة، فكان لابد من قياس قوة تحمل هؤلاء الجنود للبرد الشديد. ولكن هذه الفاجعة أظهرت مدى عدم خبرة الجنود والضباط اليابانيين بالقتال فى هذه الأماكن فكان عليهم أن يأخذوا حذرهم ويتخذوا الخطوات اللازمة من أجل إجراء القتال الجيد فى هذه الأماكن الجليدية.

أما من ناحية جموع الشعب اليابانى فقد كانت تغلى غضبا وحنقا على روسيا وذلك للسبب الذى ذكرناه آنفا وهو التدخل الروسى ضد مصالح اليابان إبان الحرب اليابانية – الصينية. كذلك فإنه على الرغم من الانسحاب الثانى لروسيا من منشوريا كان يجب أن يتم فى إبريل ١٩٠٣م فإن هذا الإجراء لم يتم على الإطلاق، بل على العكس من ذلك فإن روسيا قامت بزيادة عدد الجنود بها. ثم زادت روسيا على ذلك بتقديم سبعة مطالب للحكومة الصينية من أهمها:

١ – ألا تقوم الصين بالتنازل عن منشوريا أو إيجارها لأية دولة أخرى.

٢ – الحفاظ على الوضع الراهن لمنغوليا.

٣ – عدم فتح موانى منشوريا للدول الأجنبية دون الحصول على إذن من روسيا.

٤ – استمرار تمتع المواطنين الروس بالامتيازات التى حصلوا عليها فى أثناء الاحتلال حتى بعد الانسحاب منها.

كل هذه الغطرسة الروسية فى منشوريا جعلت كلا من الشعور الرسمى والشعبى اليابانى بالغضب يصل إلى عنان السماء. وجعل الشارع اليابانى يطالب باستعمال القوة والتدخل المسلح ضد روسيا من أجل طردها من منشوريا. وكان بالفعل قد تأسس فى عام ١٩٠١م مؤتمر التحالف الوطنى من أجل المواجهة مع روسيا، ومن زعماء هذا المؤتمر نذكر كونوئى

أتسو مارو Konoe Atsumaro (١٨٦٣م – ١٩٠٤م)، طوياما ميتسورو Toyama Mitsuru (١٨٥٥م – ١٩٤٤م) وكوموتشى توموتسونى Komuchi Tomotsune (١٨٤٨م – ١٩٠٥م).

وانضم إلى هؤلاء الزعماء أعضاء من الحزب الدستورى والحزب الإمبراطورى، إلى جانب عدد من الصحفيين وغيرهم من المثقفين، إلا أن هذا المؤتمر تم حله لفترة مؤقتة ثم عاد فى اسم جديد وهو «المؤتمر المعارض لروسيا» وذلك عام ١٩٠٣م. وقد أسس هذا المؤتمر بزعامة طوميزو هيرندو Tomizu Hirondo (١٨٥١م – ١٩٣٥م) الأستاذ بجامعة طوكيو الإمبراطورية ومعه ستة آخرون من أساتذة الجامعة نفسها وصحفيون من الجرائد الكبرى.

وفى الحقيقة إن أجواء الآراء المعارضة لروسيا والتى كانت تريد اتخاذ موقف متشدد منها كانت صاخبة بين المواطنين. وقد وضح بجلاء من بين هذه الأصوات الدور الذى لعبته الصحف آنذاك، وكانت صحف مثل صحيفة أساهى الصادرة من أوساكا والصحيفة نفسها الصادرة من طوكيو وغيرها من الصحف التى توزع فى اليوم الواحد نحو ١٠٠ ألف نسخة. وكانت هذه الصحف تتلون فى معظمها بأخبار وآراء الحرب ضد روسيا والمقالات المؤيدة لذلك. وأخذت هذه الصحف تنتقد بشدة قيادات الحكومة والمستشارين الكبار وتتهمهم بالضعف لأنهم يأملون فى حل مع روسيا عن طريق المفاوضات وأنهم لا يحاولون اتخاذ القرار اللازم من أجل الحرب ضد روسيا. وكانت معظم الآراء التى ترد بالصحف تؤيد حل مشكلة منشوريا عن طريق الحرب.

وفى الحقيقة فإن الأخبار والمقالات التى كانت تؤيد نظرية الحرب ضد روسيا كان لها دور كبير فى تأجيج شعور الرأى العام المؤيد للحرب ضد روسيا. وحتى الصحف التى كانت تؤيد نظرية السلام مع روسيا مثل صحيفة مانتشوهو Manchōhō لم يأت شهر أكتوبر من عام ١٩٠٣م حتى انضمت إلى الصحف المؤيدة لنظرية الحرب. وبذلك دخلت كل الصحف تقريبا فى حالة من الحماسة الشديدة.

وعلى الرغم من وجود هذه الروح الحماسية المتشددة فى مواجهة روسيا والداعية للحرب ضدها فإن اتجاها آخر للدعوة للسلام وعدم اللجوء للحرب كان موجودا أيضا. ومثل هذه الأصوات بقوة المفكر والناقد أوتشيمورا كانظوة Uchimura – Kanzo (١٨٦١م – ١٩٣٠م) وكذلك الاشتراكى كوتوكو شوسوى Kotoku Shusui (١٨٧١م – ١٩١١م) وساكاى طوشيهكو Sakai Toshihiko (١٨٧٠م – ١٩٣٣م). وكان الأول قد أعلن أن الحرب

خطيئـــة كبرى فى حق الأفراد والأمم، وظل يدافع عن هذا الرأى من خلال مجلة «أبحاث الكتاب المقدس» وذلك قبل نشـــوب الحرب وخلالها أيضا. أما الثانى والثالث فقد اســـتقالا من صحيفة مانتشوهو السابق ذكرها عندما بدأت تنضم لدعاوى الحرب وأسسا معا صحيفة «المواطـــن Heimin Shinpun» التـــى دعا مـــن خلالها لنبذ الحرب واللجوء للســـلام مع روسيا. إلا أنه على الرغم من هذه المحاولات للدعوة للسلام ولفرضه فقد كان الشعور العام لليابانيين يؤيد الدخول فى الحرب ضد روســـيا، فكانت أصوات اوتشيمورا وصحبه نشازاً بين ســـيمفونية عزفت على أوتار الحرب بين جموع اليابانيين، ولكن يبقى لهذه الأصوات أنها أظهرت نبرة جديدة لم تكن موجودة منذ نحو عشـــرة أعوام عندما نشبت الحرب ضد الصين، فكانت إعلانا عن ميلاد حركة اشـــتراكية تصاعدت بســـبب نمو طبقة العمال فى مواجهـــة التطور الرأسمالى الـــذى نما كثيرا منذ ميلاد عصر ميجـــى، كذلك أوجدت روح السلام هذه مفاهيم اشتراكية أخرى من منطلق التعاليم المسيحية نادى بها ابى ايسوأو Abe Isoo (١٨٦٥م – ١٩٤٩م) وكاتاياما سن katayama sen (١٨٥٩م – ١٩٣٣م) وكينوشيتا ناأوأى Kinoshita Naoe (١٨٦٩م – ١٩٣٧م) وغيرهم والأخير أصدر قصة بعنوان «أعمدة النار» التى تدعو لمناهضة الحرب.

ولكن على أية حال كان صوت هؤلاء الكتاب والصحفيين ضعيفا إلى حد ما نظرا لأنهم كانوا يكتبون عبر صحف لا توزع أعدادا كبيرة. وبالتالى لم تستطع آراؤهم أن تحرك ساكنا فى الرأى العام اليابانى الذى كان فى معظمه متجها نحو الحرب.

(ب) اندلاع الحرب

لم تكـــن اليابـــان لتتغاضى وتتعامل برفق مع أمر إرســـال القيصر نقـــولا الثانى بقوات ضخمة باتجاه الشـــرق عبر خطوط حديد ســـيبريا. وقامت بقطع المفاوضات مع روسيا فى بداية فبراير ١٩٠٤م، وفى ٨ منه دخلت البارجات اليابانية وهى تحمى ثلاث سفن نقل تابعة لليابان إلى ميناء إينتشـــون الكورى الذى يبعد نحو ثلاثين كيلو مترا غرب العاصمة سول،وذلك على الرغم من أنه كانت هناك بارجتان حربيتان روسيتان راسيتان فى الميناء نفســـه. ثم ما لبث الجنود اليابانيون أن نزلوا من ســـفن النقل، وفى الوقت نفســـه كانت البارجتان الروســـيتان على وشـــك الإبحار نحو ميناء ليوشـــون. وبرغم ذلك صدر إنذار من الأســـطول اليابانى إلى البارجتين الروســـيتين بأنه إذا لم تغادرا الميناء فورا فســـوف يقوم

بمهاجمتهما. وبالفعل وبرغم إبحار البارجتين مغادرتين الميناء فإن الأسطول الياباني قام بالهجوم عليهما ودمرهما تماما.

وفى هذه الأثناء قامت البوارج الحربية اليابانية التى يقودها الأدميرال طوجو هيها تشى رو Tōgō Heihachirō (١٨٤٧م – ١٩٣٤م) بالبحث فى ظلام ميناء ليوشون على الأسطول الروسى به، وبالفعل قام طوجو بمهاجمة الأسطول الروسى ودمر ٤ قطع بحرية منه.

وعلى الرغم من كل هذه العمليات الحربية التى قام بها الأسطول الياباني تجاه الأسطول الروسى فإن القادة العسكريين الروس ومن أهمهم الجنرال ستاركو حاولوا تفادى الدخول فى الحرب ضد اليابان، ولذلك أصدر أمرا إلى القطع البحرية الروسية بالعودة السريعة إذا ما اكتشفت تحركات مريبة.

وفى اليوم التاسع من فبراير حاول الأسطول الياباني الهجوم على الأسطول الروسى للمرة الثانية فى ميناء ليوشون، إلا إنه فى هذه المرة جاء الرد من القطع الروسية بالميناء، فلم يأت الهجوم بنتيجة تذكر. ثم جاء الأمر الإمبراطورى بإعلان الحرب فى اليوم التالى أى فى العاشر من فبراير ١٩٠٤م، وفى ١١ منه عقدت غرفة العمليات الحربية فى القصر الإمبراطورى ذاته حيث لم يعد هناك ضرورة لانتقال الإمبراطور والقادة إلى هيروشيما كما حدث فى أثناء الحرب ضد الصين، وذلك لتقدم وسائل المواصلات والاتصالات.

وفيما بعد حققت اليابان الانتصار فى عدة مواقع بعد حرب من الكر والفر،وذلك لأن اليابان استطاعت الحرب تحت لواء من المساندة الشعبية القوية بعد تحقيقها السياسة الدستورية وكذلك تنفيذها خطة الإصلاح الداخلى،فى حين أن روسيا التى كانت تطبق السياسة الاحتكارية فقد تعالت فيها صيحات الحركات المناهضة لتلك السياسة وغيرها من الفساد الحكومى فلم تستطع إدارة الحرب بطريقة ناجحة.

وهكذا مرت شهور الحرب حتى استطاعت الجيوش اليابانية إسقاط أكبر قاعدة حربية روسية فى شرق آسيا وهى قاعدة ليوشون وذلك فى شهر يناير ١٩٠٥م، وفى شهر مارس انتصر الجيش الياباني على الجيش الروسى فى موقعة مدينة هوشن الصينية، وفى مايو من العام نفسه استطاع أسطول اليابان المتحد بقيادة الجنرال طوجو هيهاتشى رو هزيمة أسطول بحر البلطيق الروسى والذى أتى خصيصا من أوروبا، وذلك فى موقعة بحر اليابان البحرية. وكان متوقعا هزيمة الأسطول الروسى بعد رحلة طويلة بعد أن منعته السلطات

الإنجليزيـــة التى كانت تتحكم فى قناة الســـويس من عبور هـــذا الممر المهم، فكان عليه أن يمـــر عبر طريق رأس الرجاء الصالح ويســـير فى رحلة طويلة قبـــل الوصول إلى بحر اليابان حيث لاقى الأسطول اليابانى وبالطبع أنهكت هذه الرحلة الطويلة الأسطول الروسى الذى قضى وقتا طويلا جدا حتى يصل لملاقاة الأسطول اليابانى فى بحر اليابان. هذا إلى جانب الحنكة العسكرية والأدوات اللاسلكية التى استخدمها لأول مرة الأدميرال طوجو فى تاريخ الأساطيل. وكان طوجو قد باغت الأسطول الروسى بكيفية عسكرية ماهرة جعلت الأسطولين الروســـيين فى مواجهـــة بعضهما البعض غير قادرين على إطلاق النـــار تماما، وعلى الفور أطلقـــت اليابـــان زوارق الطوربين لتوجه ضربة نهائية للأســـطولين. كذلك فإن هذه الهزائم العسكرية تضافرت مع هزيمة الحكومة الروسية أمام الاضطرابات الداخلية التى كان أكبرها فـــى ينايـــر ١٩٠٥م حيث وقعت حادثة يوم الأحد الدامى، وتوالت بعدها الاضطرابات فى كل المناطق وساءت الأحوال الداخلية لذلك لأبعد الحدود.

على الجانب اليابانى لم يمنع انتصاره من وقوع مشاكل عديدة بسبب الحروب المستمرة ضد عدو ليست بالسهل مواجهته. فقد واجهت الحكومة اليابانية نقصا كبيرا فى المعدات الحربية والذخيرة وكذلك فقدان الكثير من الجنود، وأصبح تدبير النفقات العســـكرية أمراً غير واضح المعالم على الإطلاق.

ولذلك أصبحت القدرة على مواصلة الحرب شـــيئا صعبا للغاية. وهنا تقدمت الحكومة اليابانية بشـــكل رسمى للرئيس الأمريكى تيودور روزفلت للتدخل لإقرار الســـلام وذلك بعد انتصارها فى موقعة بحر اليابان البحرية مباشـــرة. وهنا يجدر الإشـــارة إلى اطمئنان اليابان للموقف الأمريكى بســـبب الموقف الحيادى الذى اتخذه الرئيس الأمريكى مع ميل أمريكى مشـــوب بالعطف مع اليابان. وهو ما أكده الرئيس الأمريكى وذلك بتوجيه إنذار إلى كل من ألمانيا وفرنســـا بالوقوف على الحياد وعدم التدخل لصالح روســـيا معلنـــاً أنهما إن تدخلتا فســـوف تتدخل الولايات المتحدة بثقلها إلى جانب اليابان. وهناك سبب آخر جعل اليابان تتجـــة بأنظارها نحو الولايات المتحـــدة الأمريكية وليس أوروبا وهو مـــا عانته اليابان بعد حربها ضد الصين، فعلى الرغم من انتصارها فى تلك الحرب فإن الدول التى أطلقت على نفسها «أصدقاء الصين» سلبتها ثمرة انتصارها على الصين، وكانت كل هذه الدول أوروبية.

وفـــى الحقيقـــة إن أمريكا لم تقف وتتعاطف مع الموقف اليابانى من أجل ســـواد عيون اليابان ولكن لأنها كانت تتخوف منذ فترة طويلة من تنامى النفوذ الروســـى فى منشـــوريا

وحكمها الاحتكارى لها، ولذلك عملت على أن توازن بين كل من النفوذ الروسى واليابان فى منشوريا.

وأخيرا اضطرت روسيا إلى الإذعان لنداء الرئيس الأمريكى بعمل مفاوضات للصلح مع اليابان فى بورتسموث الأمريكية. وتعثرت هذه المفاوضات فى البداية بسبب الموقف المتصلب لروسيا، ولكن فى النهاية تم عقد معاهدة بورتسموث للسلام بين الدولتين المتحاربتين وذلك فى سبتمبر ١٩٠٥م.

(جـ) بنود معاهدة بورتسموث ورد فعل الشعب عليها:

١ – تعترف روسيا لليابان بحقها فى حماية كوريا وكذلك بامتيازات سياسية وعسكرية واقتصادية خاصة فى كوريا.

٢ – انتقال حق الانتداب على كل من لوشون ودالیان فى شبه جزيرة لياوتنج من روسيا إلى اليابان.

٣ – تنازل روسيا لليابان عن القسم الجنوبى من سكك حديد منشوريا، وكذلك تنازلها عن المناجم المجاورة لهذه الخطوط.

٤ – يدخل النصف الجنوبى من جزيرة سخالين ضمن الحدود اليابانية (جنوب خط عرض ٥٠).

٥ – إعطاء اليابان حق الصيد فى السواحل المطلة على منشوريا.

ورغم كل هذه الامتيازات والحقوق التى حصلت عليها اليابان من الجانب الروسى فإن هذا لم يقنع الشعب اليابانى وذلك لعدم حصول اليابان على تعويضات كبيرة من روسيا.

وربما يرجع عدم الاقتناع للتضحيات المالية والاقتصادية الضخمة فضلا عن الأرواح التى راحت من أجل الحرب ضد روسيا والتى قدمها الشعب اليابانى بكل إصرار للانتصار على روسيا.

هذا جعل اليابانيين يتذمرون ويحتجون لدرجة وقوع حوادث عنف بعد التوقيع على المعاهدة، ففى الشهر نفسه التى وقعت فيه المعاهدة، وفى الفترة من ١١ – ٢٥ من سبتمبر ١٩٠٥م عقدت اجتماعات حاشدة تحتج على توقيع المعاهدة. وكان أكبر حشد هو الذى تجمع فى حديقة هيبيا الكبيرة فى طوكيو. وكان الذى دعا لهذا الحشد هو الحزب الدستورى الأساسى Kensei Hontō وجماعة التنين الأسود «Kokuryukai» المعارضين للحكومة.

وعلى الرغم من محاولة البوليس إيقاف هذا الاجتماع الحاشد فإن المؤتمرين قاموا بعقد اللقاء بالقوة، وأعلنوا أن على الحكومة إلغاء هذه المعاهدة المهينة لليابان. وذلك على الرغم من الامتيازات الكثيرة والكبيرة التى حصلت عليها اليابان بموجب هذه المعاهدة. ولما تعرض المواطنون المشتركون فى اللقاء الحاشد للقمع الشرطى قاموا بمهاجمة الصحف الموالية للحكومة وهاجموا أيضا أكشاك البوليس فضلاً عن الهجوم على مقر إقامة وزير الداخلية ذاته، وقد استمرت هذه الثورة حتى اليوم التالى. ولم تخمد الثورة إلا بعد إعلان حالة الطوارئ وتحريك الجيش لقمع الثوار، وقد راح ضحية هذه الحوادث ١٧ قتيلا و٥٠٠ جريح. وتم تدمير ٧٠٪ من أكشاك البوليس فى طوكيو. ولكن يجب هنا أن نعطى بعض العذر للجماهير الثائرة، فقد كان عامة الشعب اليابانى آنذاك غير مدركين لحقيقة الأوضاع الاقتصادية والمالية البالغة السوء التى كانت تمر بها البلاد، وذلك بالطبع بسبب النفقات الهائلة من أجل الحرب ويرجع جهل العامة بتلك الأوضاع السيئة إلى الرقابة الصارمة التى كانت مفروضة على الصحف آنذاك من أجل عدم نشر حقيقة تلك الأوضاع السيئة.

وفى الحقيقة فقد أثرت الأوضاع البالغة السوء فى روسيا أيضا من أجل التعجيل بعقد معاهدة بورتسموث. فقد أشرنا فيما سبق إلى يوم الأحد الدامى الذى حدث فى ٢٢ يناير ١٩٠٥م. وفيه توجه عدة آلاف من العمال إلى القصر الإمبراطورى وقدموا عريضة يطالبون فيها بالحريات وتحسين أوضاعهم. ولكنهم لم يجدوا ردا على هذه المطالب سوى رصاص الجيش يطلق عليهم فجأة ويتسبب فى حدوث وفيات وجرحى زادوا على ٣ آلاف عامل. وبعد هذا الحادث الأليم انتشرت الفوضى والاحتجاجات فى كل أنحاء البلاد. وكأن الظروف المحيطة باليابان تقف بجانبها لتنقذها من مستنقع خطير قامت منه فائزة بامتيازات كثيرة ربما كادت تفقدها لو استمرت الحرب بعض الوقت.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن من تلقى غضبة الجماهير كان رئيس وفد المفاوضين اليابانيين خلال مفاوضات الصلح مع روسيا. وهو الدبلوماسى كومورا جوتارو Komura Jūtarō، الذى أصبح فيما بعد وزيراً للخارجية (١٨٥٥م – ١٩١١م).

فقد واجه هذا الدبلوماسى انتقادات حادة من المواطنين وكذلك من الصحف، فقد وصفت إحدى الصحف الكبرى اليومية بأن ما فعله جوتارو ما هو إلا محو لمجد الإمبراطورية اليابانية وأنه لطخ بالطين وجوه المواطنين المنتصرين فى الحرب وأنه يجب على المواطنين

إذا استقبلوه أن يقابلوه بأعلام الحداد بل تغلق أبواب كل المواطنين فى وجه، هكذا كان شعور العامة والخاصة نحو الرجل الذى قاد المفاوضات مع الروس فى بورتسموث.

(د) تعديل المعاهدة اليابانية الإنجليزية والتحكم فى كوريا:

خلال المفاوضات اليابانية الروسية لم تحاول الثانية أن تقدم تنازلات كبيرة كما حدث من الصين خلال حربها مع اليابان فى نهاية القرن التاسع عشر.وذلك ثقة من روسيا بما تمتلكه من قوة عسكرية ضخمة لم تفقدها كلها بسبب الحرب.

ولما كانت اليابان تتخوف من هذه القوة الروسية التى يمكن أن تستخدمها بعد أن وضعت الحرب أوزارها من أجل الانتقام من اليابان. ولذلك كان عليها أن تتجنب هذا الانتقام المتوقع بتعضيد التعاون العسكرى مع دولة أخرى قوية. وبالطبع لم تجد اليابان سوى إنجلترا التى تشترك معها مسبقاً فى معاهدة منذ عام ١٩٠٢م وإلى جانب ذلك كانت حكومة اليابان تفكر فى كيفية ضم كوريا تماماً لها،وجعل القوى الأخرى تعترف لها بذلك، فقد قامت حكومة اليابان بإقرار خطة وضع كوريا تحت حمايتها بعد بدء الحرب ضد روسيا مباشرة وذلك فى شهر يونيو من عام ١٩٠٤م.

أما بخصوص تقوية وتعديل معاهدتها مع إنجلترا فقد أصبح على كل من الدولتين أن يتعاونا بمجرد دخول إحداهما فى حرب ضد دولة ثالثة. وبهذا التعديل الذى تم فى أغسطس ١٩٠٥م أصبح على إنجلترا أن تجعل من روسيا عدوة لها بمجرد بدء الثانية حرب الانتقام من اليابان. كذلك تعمل إنجلترا على تعضيد الموقف العسكرى اليابانى وتقويته ضد روسيا.

وفى الحقيقة إن اليابان كانت تتحرك فى عدة اتجاهات من أجل تثبيت أقدامها فى كوريا. فقبل عقد التحالف الثانى مع إنجلترا مباشرة تم إبرام التفاهم اليابانى – الأمريكى بين كل من رئيس وزراء اليابان كاتسورا والحاكم العام الأمريكى للفلبين وليام هوارد ثافت (١٨٥٧م – ١٩٣٠م). وطبقا لهذا التفاهم فلا تبدى الولايات المتحدة أى اعتراض على فرض الحماية اليابانية على كوريا وتحكمها فى السياسة الخارجية الكورية. وفى المقابل فلا تقوم اليابان بأى تهديد للحكم الذاتى القائم فى الفلبين والذى كانت تقف من ورائه الولايات المتحدة الأمريكية وعليه تطلق اليابان يد أمريكا فى الفلبين. وبعد ذلك لم تألُ اليابان جهدا من أجل إحكام قبضتها على الجارة المسكينة واتخاذ كل الإجراءات من أجل ذلك.

وكانت أولى الخطوات لفرض السيطرة اليابانية على كوريا عندما أعلن مجلس وزراء كاتسورا فى أكتوبر من عام ١٩٠٥م بأنه بصرف النظر عن موافقة الحكومة الكورية أو رفضها فإن اليابان تقرر انتزاع حق الدبلوماسية الخارجية منها، ثم تم إرسال السياسى الفذ إيتو هيروبومى سفيرا لليابان لدى كوريا من العام نفسه.

وبعد وصول إيتو إلى كوريا قابل الإمبراطور الكورى، وفى المقابلة انتقد الإمبراطور بشدة عدم شرعية ما قام به الجيش اليابانى بكوريا ثم انتهت هذه المقابلة بمشادة عنيفة بين الطرفين. وعلى أثر ذلك قام مجلس الوزراء الكورى بانتقاد سلب اليابان كوريا حقها فى ممارسة سياستها الخارجية. فما كان من إيتو إلا أن اصطحب معه قائد الجيش اليابانى فى كوريا. وتحت التهديد بسطوة الجيش اليابانى تم ترويع وإخضاع مجلس الوزراء الكورى فرداً فرداً وإرغامهم بالقوة على التوقيع على معاهدة الحماية اليابانية لكوريا فى ١٧ نوفمبر ١٩٠٥م. وتبعاً لذلك أصبحت علاقات كوريا الخارجية تدار بواسطة وزارة الخارجية اليابانية فى طوكيو، وعليه أصبحت أية معاهدة تعقدها كوريا مع أية دولة أخرى يجب أن تمر عبر اليابان، وعليه قامت حركة مقاومة عنيفة ضد اليابان فى كل أنحاء كوريا تقريباً.

وفى شهر فبراير من العام التالى (١٩٠٦م) تم إنشاء حكومة الإشراف اليابانية فى كوريا (Tokanfu)، وعليه أصبح إيتو أول مشرف عام لليابان فى كوريا. وبذلك يصبح إيتو هيروبومى أول حاكم عام يابانى لكوريا كما كان أول رئيس وزراء فى اليابان.

وفيما بعد أصبحت حكومة الإشراف هذه تتحكم فى مسار السياسة الخارجية الكورية، ولم يتوقف الأمر على هذا بل استطاعت أيضا استخدام الجيش فى تسيير أمورها، بل إنها استطاعت أيضا أن تتحكم فى البوليس والسكك الحديدية ووسائل الاتصال الأخرى فى كوريا، وبذلك أصبحت اليابان الدولة الحامية لكوريا.

ورداً على هذه الإجراءات غير المقبولة من الكوريين فقد قام الإمبراطور الكورى بإرسال مبعوث سرى إلى مؤتمر السلام العالمى الذى عقد فى مدينة هاج الهولندية فى شهر يونيو من عام ١٩٠٧م، وذلك لإثارة موضوع عدم مشروعية الغزو اليابانى لكوريا. ولكن تم رفض انضمام هذا المبعوث للمؤتمر.

ثم استغلت اليابان هذه الواقعة فقامت بعد شهر واحد من حدوثها بعزل الإمبراطور من منصبه، ثم قامت بعقد معاهدة جديدة مع كوريا، وطبقا لهذه المعاهدة فقد تم لها اغتصاب

السياسة الداخلية لكوريا وحل جيشها، وذلك أدى بالطبع إلى استنهاض الحركات المسلحة المناوئة لليابان. وكان من أشهر هذه الحركات المسلحة حركة جنود الحق (Giheiundō) التى تزايد نشاطها وخاصة بعد أن انضمت لها أعداد كبيرة من جنود الجيش الكورى المنحل، وعليه حركت اليابان جيشها لقمع هذه الانتفاضات المسلحة. وكنتيجة مباشرة لهذا الصراع تم اغتيال مدير حكومة الإشراف اليابانية (Tōkanfu) إيتو هيروبومى فى أكتوبر ١٩٠٩م على يد الثائر الكورى أنجون جون، الذى تم إعدامه فى العام التالى ١٩١٠م (١٨٧٩م – ١٩١٠م)، ثم قامت اليابان فى أغسطس ١٩١٠م بإرغام كوريا على توقيع معاهدة ضمها لليابان. وطبقا لهذه المعاهدة تعترف كوريا بتسليم حق التحكم المطلق والأبدى فيها لليابان، وبذلك تصبح جزءا لا يتجزأ من اليابان. وبدلاً من حكومة الإشراف والمراقبة السابق ذكرها تم إنشاء حكومة الإدارة Sōkanfu التى وُكل لها التحكم فى كل الشئون فى البلاد الكورية، وهكذا تم ضم كوريا لليابان (Kankoku Heigō).

وهكذا لم يهدأ لليابانيين بال منذ عام ١٨٧٤م عندما انتشرت فكرة إخضاع كوريا بين عدد من المسئولين ومروراً بالحرب ضد الصين ثم بالحرب ضد روسيا، استطاعت اليابان أخيرا تحقيق حلمها الذى ظل يراودها طوال أكثر من خمسة وثلاثين عاما فى الاستيلاء على كوريا بل ضمها إليها.

بعد ذلك قامت اليابان بتنصيب شخصية عسكرية على رأس حكومة الإدارة فى كوريا. فقامت هذه الإدارة بتنظيم الضرائب على الأراضى وأعمال فحص ومسح الأراضى والتى انتهت منها تماماً فى عام ١٩١٨م (أى بعد انتهاء عصر ميجى).

وكنتيجة لهذه الإجراءات زاد عدد ملاك الأراضى اليابانيين فى كوريا، وبالتالى أفلس عدد كبير من صغار ملاك الأراضى الكوريين، مما أدى إلى نزوح عدد غير قليل منهم إلى اليابان طلباً للعمل بها. وبذلك أصبح هؤلاء الكوريون هم طليعة بنى جلدتهم الذين عاشوا باليابان وتكاثروا حتى أصبحت الجالية الكورية باليابان أكبر جالية أجنبية، بل إن معظمهم حصل على الجنسية اليابانية وأصبح أحفادهم لا يختلفون عن اليابانيين الآخرون فى كل شىء تقريبا.

❑❑❑